استراتيجية التفكير العلمي المعاصر

« الأسس ؛ مدخل إلى البحث العلمي »

للدكتور محمد بشير الجويني

عالم مستقبليات

إهداء

لكل من أمن بالحرية و
أعتنقها دينا و دنيا

إلى العقول النيرة،الثائرة
والطامحة إلى الأفق
اللامتناهي

د.جويني

كتاب قصير جدا
دليل الباحث
نظري و تطبيقي
رؤية علمية ، فلسفية
وحتى أدبية ، عابرة
للعلوم و المعارف

الفهرس

إهداء

الملخص

1-الديباجة

2-الطريقة أو المنهج

2-1-مبدأ الحرية

2-1-1-نموذج ؛ معوقات التفكير العلمي عند العرب واغتراب الحرية .

2-2-الجدلية البناءة و فلسفة البحث

2-3-صفات الباحث و العقاربات الممكن إعتمادها

3-فصل المقال

الإحالات

المؤلف في سطور

العلم سراج ينيره التفكير

د.محمد بشير الجويني

استراتيجية التفكير العلمي المعاصر

« الأسس ؛ مدخل إلى البحث العلمي »

د.محمد بشير الجويني

خبير دولي ، عالم مستقبليات

الملخص

في تعريفنا للمعرفة ؛ هي تلك المنظومة الحية القائمة على " تفاعلات شبه كيماوية " بين تراكم المعلومات إلى جانب أكتساب خبرة عملية أو مهنية لتمتد هذه المنظومة إلى القدرة على الخلق و الإبداع ، لذلك يمكن أن يطلق على مختلف العلوم تسمية ؛ معارف فكل عالم هو في الأصل عارف (حامل للمعرفة) وكل عارف هو في الأصل باحث وكل باحث هو فنان مبدع ، و إن امتدت هذه المنظومة المعرفية العلمية في شكل تخصصات .

أما العقل فهو الروح و القوى المحركة للدماغ البشري البيولوجي أو المادي ، والتفكير هي الخاصية التي خص بها الله الإنسان عن بقية المخلوقات عبر ملكة العقل الذي يمكن صياغته وصقله عبر نحت « الخلايا العصبية Neurons » للدماغ البشري عبر

التراكمات المعرفية مثلا مما يفضي لمنهج في التفكير، لذلك سميناها بأستراتيجيا التفكير العلمي ، لأن الآستراتيجيا وإن أعتمدت في بداياتها في المجال الحربي إلا أنها امتدت إلى السياسة والإدارة ثم التسيير و مختلف العلوم لأنها تعني : « **التخطيط المحكم للوصول إلى الهدف عبر الموارد أو الوسائل المتاحة** » وهو **المنهج** الذي نسعى لبناءه في هذا الكتاب أو" المغامرة المعرفية " .

« وجب الإشارة إلى أن هذا الكتاب ليس أكاديمي بالمعنى المجرد للكلمة ، و إن كان للضرورة بمكان لفائدة الأكاديميين و الباحثين والخبراء و النشطاء و العلماء وغيرهم في مختلف المجالات و الإختصاصات و الميادين ، هو كتاب من فئة الكتب العلمية القصيرة في مجال البحث العلمي ، و هو رؤية علمية ، فلسفية و حتى أدبية عابرة للعلوم و المعارف ، هو دليل الباحث نظري و تطبيقي » .

كلمات مفتاحية : الإنسان ، التفكير ، العلم

1- الديباجة

لغز ملكة التفكير الذي يتوسط أو يربط الدماغ المادي والعقل المعنوي هو المعظلة التي باتت تأرق العلماء إلى يوم الناس هذا ؛ أي « العلاقة الجدلية ، التكاملية المعقدة أو المركبة بين " الروح " (العقل أو الوعي) التي تحرك " المادة "(الدماغ) عبر خاصية التفكير، و كما تساؤل إرفين شرودنجرفي كتابه « العقل و المادة » ؛ مالخواص الغربية التي تميزعمليات المخ تلك وتمكنها من انتاج ذلك التجلي ؟ أو على نحو أبسط : مانوع العمليات المادية المرتبطة بشكل مباشر بالوعي ؟

التفكير العلمي هو جزء من التفكيربشكل عام (أنظر مثال الصورة أسفله) لكنه أكثر خصوصية و انفرادية (يشمل فقط فئة معينة من البشر ، مثلما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الإيطالي أنطونيوغرامشي؛ « بأن جميع الناس مفكرون ، ولكن وظيفة المثقف أو المفكر في المجتمع لا يقوم بها كل الناس ») ، فالتفكيرهوالقاعدة أو " الكينونة " والمدخل الذي يبنى عليه البحث العلمي عبرمراحله؛ من الشعور بالمشكلة و تحديدها إلى التقرير النهائي للبحث مرورا عبرمناهجه " الأكاديمية "(مناهج البحث العلمي : التجريبي، الوصفي ، الإستنباطي و الإستقرائي ، التاريخي أو حتى المنظوماتي...الخ) و التي تعتبر" العمود الفقري " للبحث و التي بدورها تحدد أدواته (الوسائل العينية التي يستعين بها الباحث : الاستبانة ، المقابلة ،الملاحظة و الاختبارات...الخ) .

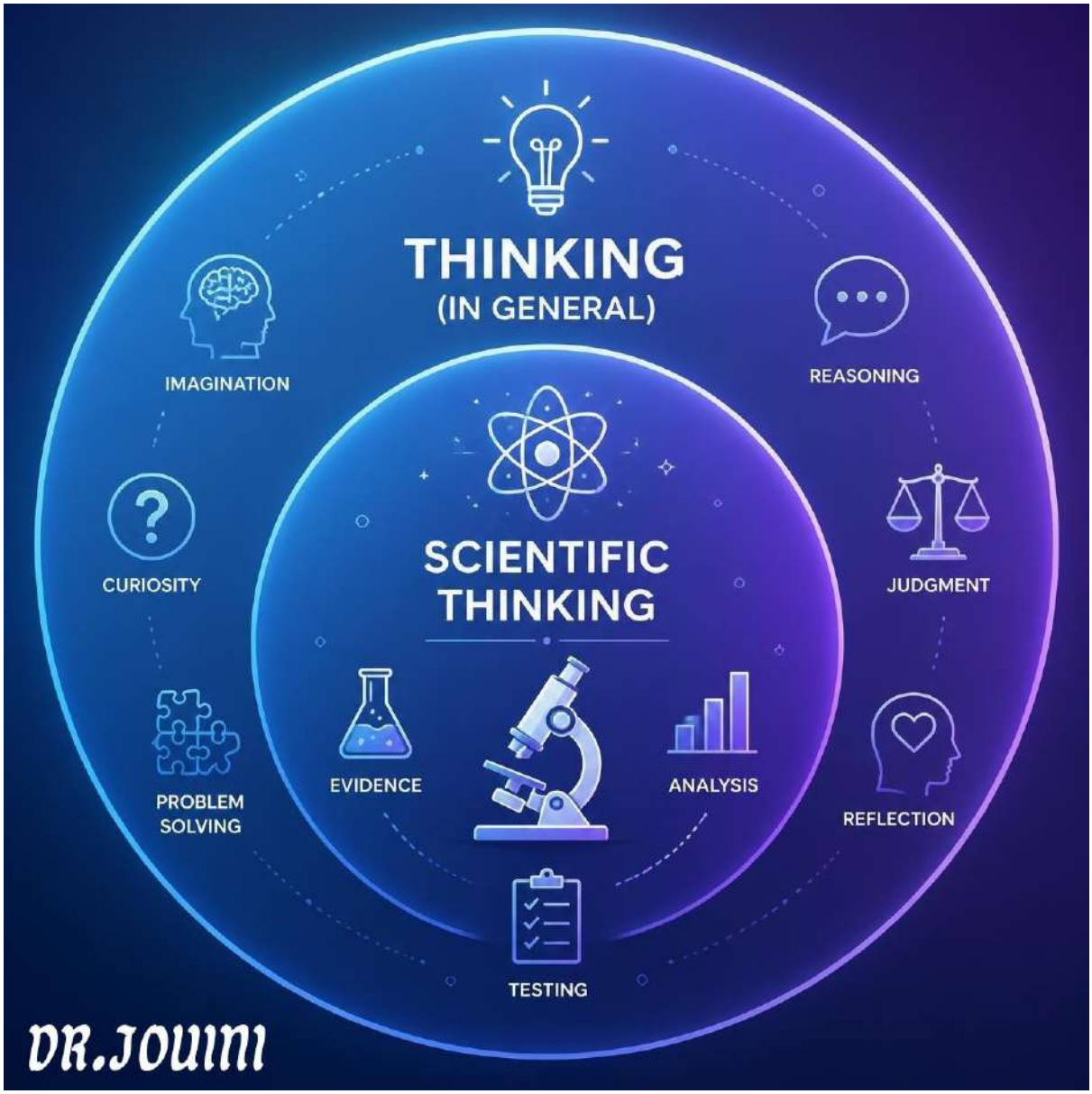

فالبحث العلمي هو نتاج للنشاط أو" العصر" الذهني و الفكري الذي يستوجب طريقة أو منهج تفكير" يؤطر و يكون الروح " لجسد البحث العلمي (عبر مراحله) **والذي اجتهدنا في" انبثاقه " ليكون منهج المناهج و طريقة الطريقة و الذي اصطلحنا على تسميته ب ؛ « منهج التفكير العلمي أوالطريقة الأم** بإعتبارها **" الحاضنة " » (أنظر الصورة أسفله)** ، وهي من الخصائص

التي وجب أن يتحلى بها الباحث **" كزاد فكري بشري" يقيه من المعوقات الفكرية** (كالمسلمات و الخرافة...الخ) **و يعطيه الطاقة الأولية** لينتج العلم و يكشف الحقائق و يقدم الحلول للمشاكل بطريقة أسهل ، أدق و أكثر فاعلية و موضوعية علمية ، فهي « **مرحلة أساسية قبل الأولى من البحث** » ، وهو ما نسعى لإدراكه و الهدف الأساسي من هذا الكتاب .

فالعلم في حد ذاته ، عن بداياته وان ربطه بعض العلماء تاريخيا بالثورة الداروينية أو الثورة الصناعية أو غيرها من الأحداث ، إلا أني " وأقولها جازما " أن العلم قديم قدم البشرية أصلا ومواكب لتطورها عبر الزمن من النياندرتال إلى العاقل أو الإنسان العاقل Homo Sapiens مثلا ، أو بمعنى أدق مع بدايات تطور الدماغ البشري كمادة إلى العقل كروح أو كيان معنوي ليصحبه بدايات التساؤل ، الشك ، الدهشة و حتى اشباع الفضول ، وبالتالي بدايات التفكير، أولم يبتكر البشر آليات و أدوات (كصقل أو شطف الأحجار مثلا) تأهله للتأقلم و العيش والبقاء مع غيره من المخلوقات و الأحياء في أحضان الطبيعة **؟ وبالتالي العلم هو ابتكار واختراع واكتشاف نتاج " تفكير وإن كان بدائي ".**

لذلك نجد الكثير من المختصين و العلماء الذين اشتغلوا و كتبوا حول التفكير العلمي عبر الأزمنة سواء من الغرب مثل ديكارت و كانط ثم غاستون باشلار و جون لوك وصولا إلى ادغار موران ، و من العرب من القدامى مثل ابن رشد و أبن خلدون حتى المحدثين مرورا بطه حسين وعابد الجابري وصولا إلى الدكتور فؤاد زكريا عبر كتابه « التفكير العلمي » وغيرهم . لذلك سوف نحاول المضي قدما على درب هؤلاء على مسار الاجتهاد و التطوير في علاقة بالتفكير العلمي ٱعتمادا على **اخر الإكتشافات و الإختراعات و البحوث و المستجدات العلمية في الساحة الكونية .**

وإن حصرنا موضوع كتابنا هذا في مسار زمني يعرف " بالمعاصر" ، فذلك للدلالة على الزمن الحاضر الذي لايمكن " حصره " في سنوات أو أشهر أو حتى ساعات وثوان وحتى

أجزاء من هذه الاخيرة ، فالحاضر دائما " في هروب مستمر".
فأعلم صديقي القارىء أننا في بادئ البدء نحاول التجرد قدر الإمكان من بعض المكبلات الفكرية مثل الإيديولوجيا و الأحكام المسبقة وغيرها ، علنا نظفر بجزء كبير من الموضوعية العلمية التي تقتضي النزاهة و الحياد الفكري و الأخلاقي وحتى الروحاني مما يجعل منها (أي الموضوعية العلمية) نسبية فهي حقيقة " شاقة " الإدراك مثل « اليوتوبيا » لأن « **الباحث في حد ذاته موضوع بحث** » ، فلا معنى للحياد (حسب رأيي) وإنما هنالك " وسطية نسبية " .

إلا أنني أعتنق الحرية في مساري هذا ، فأنا النسر المحلق فوق ، أكوان العلوم و المعارف ، أطير فوق سهولها و تلالها و جبالها أقتفي أثر ما لذ و طاب من المعلومات و أنقض على فرائسي منها لأبني بها فسيفساء بحوثي منتصبتا شامختا فوق القمم الشماء.
قبل الخوض في أصل الموضوع ، من ا لمهم جدا المرور عبر بعض الإحصائيات المهمة عن واقع البحث العلمي في العالم

<u>في عملية استكشاف لتضاريس هذا الميدان</u>

(أنظر المؤشرات أسفله)

البحث العلمي في 26 عاما : 42% زيادة في عدد الباحثين عالمياً و25 % زيادة في الإنفاق على البحث والتطوير

عدد الباحثين بدوام كامل، لكل مليون نسمة من سكان العالم في الفترة(1996-2021)،

جدول رقم-1

السنة	1996	2000	2005	2010	2015	2020	2021
متوسط العالم	789	805	902	1,010	1,143	1,327	1,352
الدول العربية	407	396	379	398	538	602	630
أوروبا الوسطى والشرقية	2,219	1,958	1,949	1,987	2,101	2,266	2,332
آسيا الوسطى	687	592	589	513	632	642	662
شرق آسيا والمحيط الهادئ	662	728	933	1,198	1,437	1,794	1,851
أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي	239	241	359	433	529	623	625
أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية	2,716	3,050	3,397	3,657	4,070	4,652	4,746
جنوب وغرب آسيا	150	118	138	166	226	309	311
أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى	57	62	71	81	93	95	94
الدول الجزرية الصغيرة النامية	365	505	625	743	834	934	931

المصدر: قاعدة بيانات اليونسكو للتعليم. على الرابط: http://data.uis.unesco.org/

معدل الانفاق المحلي على البحث والتطوير كنسبة مئوية من الناتج المحلي الاجمالي

في الفترة(1996-2021). الشكل رقم-2

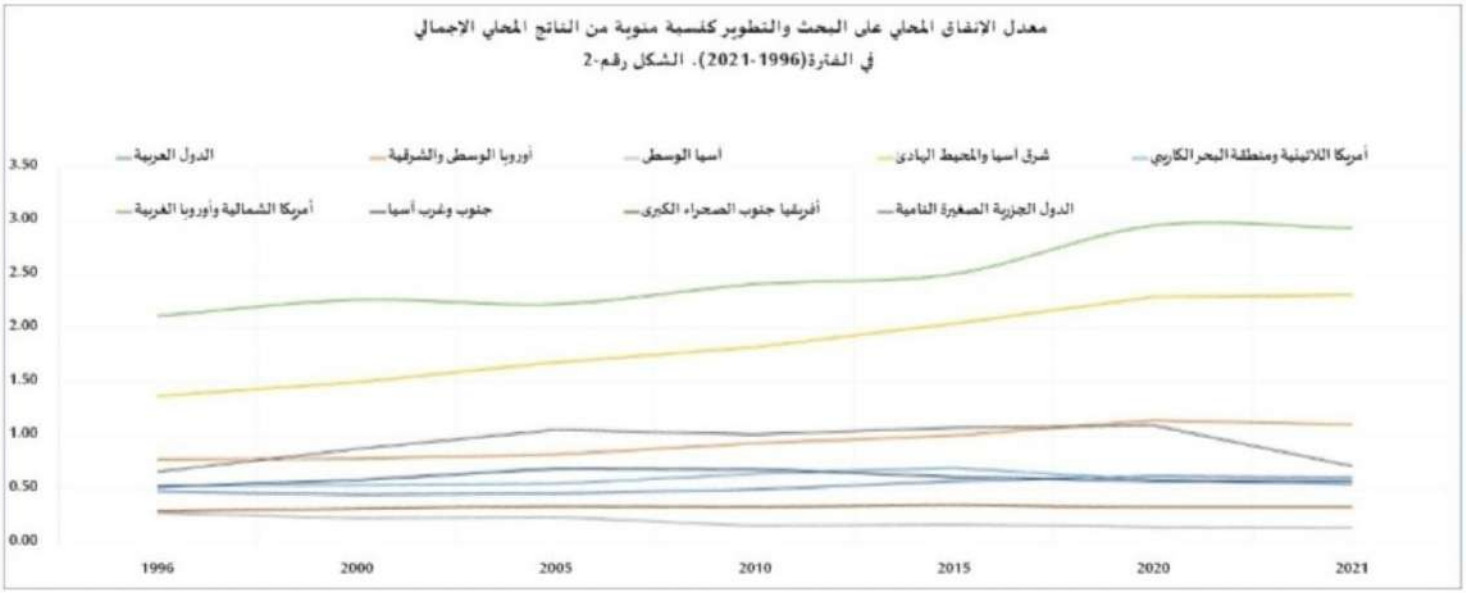

قناة المال
1.7 تريليون دولار
الإنفاق العالمي على البحث والتطوير
الدول الأكثر إنفاقاً على البحث العلمي
الأرقام بـ "المليار دولار"
473
456
334
130
75.4
USA
الصين
الأتحاد الأوربي
اليابان
كوريا الجنوبية
10 دول تستحوذ على 80% من الإنفاق على البحث والتطوير في العالم
Info graph
almalchannel

2- الطريقة أو المنهج

من البديهي في الحديث عن المنهج كإستراتيجا للتفكير، التوقف عند الأعمدة أو المبادئ و المقومات الأساسية التي تقوم عليها ومن خلالها تتشكل وتتبلور" منظومة " التفكير عند العالم الباحث أو المفكر سواء في أروقة المختبرات أو حتى في تجارب الفكرThought Experiment ، وان كان الباحث في الظاهر مطاردا للحقيقة إلا أنه في الأصل " مشتاق وعاشق لها وحتى ظمآن وجوعان " لتذوق حلاوة طعمها أو لذتها والإحساس بمتعة " مشقة " ادراك الحقيقة ، وهنا يجد له معنى في « مفهوم السعادة » **، وكما قال البرت أينشتاين في كتابه « العالم كما أراه » : « ان المثل التي أضاءت لي الطريق ، والتي طالما منحت لي الشجاعة هي مثل الخير و الجمال و الحقيقة »** .

فالمفكر بشكل عام ، هو " المبحر ضد التيار " ، الناحت على الصخر ، الحافر في أعماق الرمال و المبصر من أعالي الجبال ، هو **« سيزيف Sisyphe الذي يحاول بطريقة لا متناهية ايصال الصخرة الكبيرة إلى قمة الجبل لكن عندما يصل تتدحرج الصخرة من جديد إلى القاع فيعيد دحرجتها إلى الأبد »** .

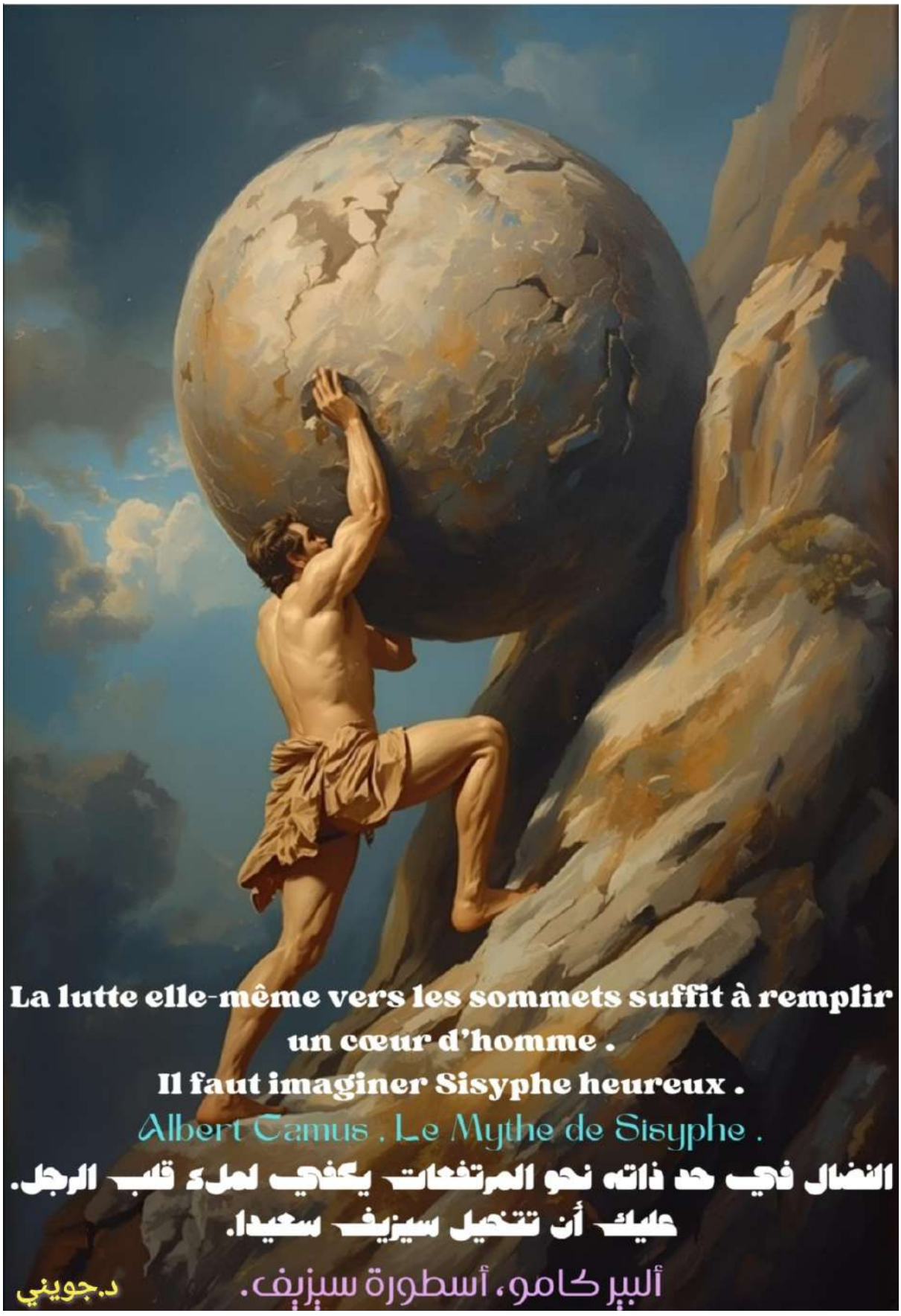
La lutte elle-même vers les sommets suffit à remplir un cœur d'homme .
Il faut imaginer Sisyphe heureux .
Albert Camus , Le Mythe de Sisyphe .
النضال في حد ذاته نحو المرتفعات يكفي لملء قلب الرجل.
عليك أن تتخيل سيزيف سعيدا.
ألبير كامو، أسطورة سيزيف.
د.جويني

مما يحملنا على المرور عبر الكوجيتوا الديكارتي ال « أنا أفكر إذا أنا موجود Cogito ergo sum » في علاقة " وجودية حتمية حياتية تلازمية " بين التفكير كفعل بشري وكينونة الذات الإنسانية وعليه فعلى هذا " المناضل ، المحارب الفكري " التسلح ببعض الطرق و المناهج والاساليب والآليات كسبيل أو طريقة أو « **منهج للتفكير(منهج التفكير العلمي أو الطريقة الأم ، كما تطرقنا لذلك سالفا) عبر قيم ومبادئ أخلاقية (Morals) تتفرع عنها أخلاقيات (Ethics) في شكل قواعد و سلوكيات عملية تبنى عليها أخلاقيات البحث العلمي » وهو ما نسعى لإبرازه في هذا الجزء من الكتاب .**

2-1 - مبدأ الحرية

الحرية : هي روح الحياة ، فهي المطلق ، اللانهائي و اللامحدود في جميع تجلياته ، ومع ذلك و في الطرف المقابل نجد الحتمية ، النسبي ، المحدود ، فكلما بدى الكون فوظويا أو عشوائيا ولكن لما ننظر عن كثب يبرز لنا مفهوم " الضبط الدقيق" (Fine-tuning) لتكون الحتمية ، فهي (أي الحرية) الكيان و المنظومة التي تجمع المتوازيان المتضادان ؛ النظام المفتوح و الآخر المغلق ، والتي وجب عليها (أي المنظومة) الإنغلاق لضمان الإنفتاح ، لتكون من صنف « منظومة التوازن Homeostasis » .

لنستذكر هنا نظرية «المادة المضادة لبول ديراك » و " بالشبه " (إشتراك في بعض الصفات) و ليس " بالمثل" (التطابق الكامل) لنجد ما سميته ؛ « **الحرية و الحرية المقابلة** » ، و المقصود هنا

بالحرية المقابلة (وليست المضادة) ، الصورة على المرآت التي تعكس الصورة الأصلية ، أي " بالمثل "أوالتطابق الكامل .

بالنسبة للبشر مثلا ، الحرية هي في نفس الوقت مدركة ولا يمكن ادراكها ، فهي غاية وفي نفس الوقت وسيلة وهي سبب وكذلك نتيجة ، فإن كان الإنسان مقيدا بالحتمية أو الضرورة التي تفرضها عليه الطبيعة (عبر قوانينها مثلا) فذلك ليس قيودا مكبلا بل حاميا فهو بوابة نحو الإنعتاق، " منصة الإطلاق " و مرحلة الإنطلاق ، أي ؛ « الحرية التي وجب عليها الإنغلاق (من خلال المسؤولية الأخلاقية مثلا) لضمان الإنفتاح نحو المطلق » ، فالحرية هي كيان مطلق ، ذاتية التنظم (self-organizing) عبر أدوات أبرزها " حصن " المسؤولية ، و تتجلى كذلك في أشكال مختلفة منها الصدفة (أو العشوائية العلمية) في الكون الكمي Quantum Cosmology مثلا ، وهي كذلك سلوك يكتسب عبر الممارسة ومن أهم أوجه هذه الممارسة عبر ملكة النقد (أي طرح السؤال) . لتتجسد فكريا و روحيا عبرالتفكير الحر الذي يترجم « الإرادة و القدرة » وتترجم فيما بعد في صورة سلوكيات أو أفعال و تصرفات مادية أو عملية مما يترجم كذلك فكرة " خلق الإنسان لذاته " فهو « مخير مثلما هو مسير في أشياء » ، وكما يقول هيجل: « تعتبر الطبيعة مرحلة ضرورية [مرحلة تتسم بالخضوع والحتمية] لكي يتجلى الفكر المطلق [وسماه كذلك ؛ الروح المطلقة]» . وكما ورد في لاهوت « سفر التكوين » ؛ « اختار آدم أن يأكل من شجرة الحياة بمحض إرادته » ، فكذلك الحرية جزء من الطبيعة البشرية ومرتبطة بوجودنا ، وإنكار حريتنا هو إنكار

لوجودنا ، فالمسؤولية لا تحد من الحرية كما جاء في المسلمات ، بل على العكس ، تحميها (أي المسؤولية) لتتواصل وتكتمل (أي الحرية).

(مأخوذ عن كتابنا ؛ « أخلاق الطبيعة ، سمفونية الحياة » ، أنظر الرابط في المراجع والإحالات)

1-1-2- نموذج ؛ معوقات التفكير العلمي عند العرب واغتراب الحرية

مما هو متعارف عليه في الأوساط العلمية أن العقل العربي هو **" ديني أو روحاني"** بأمتياز عكسه في ذلك العقل **" الإجتماعي أو الوضعي"** ، ففي كتابه « العقل العربي » يقول محمد عابد الجابري :« الفرق بين العقل العربي و الغربي أن « العقل العربي عقل بياني » (يتمحور حول اللغة) عقل يؤول (الفقه) النصوص ، يقوم على المعرفة القياسية (عقل قياسي قوامه النص أو الرؤية الأصولية) ، أما « العقل الغربي عقل برهاني » ؛ عقل علمي، فكري (يتمحور حول التجربة) ، حتى في كتابه « العقل السياسي العربي » يقول أن العقل السياسي العربي يقوم على ؛ ثلاثية القبيلة و الغنيمة و العقيدة ، وفي مقولة لنصر حامد أبو زيد يعتبر فيها « العقل العربي أسير داخل زنزانة التراث و الفكر الديني القديم »

فالفكر العربي محكوم بأحكام مسبقة أو المسلمات التي تدور في فلك الدين (الدغمائية ،الإيديولوجيا بما في ذلك العلمية) منذ نشأته و هو ما ينعكس بذلك على فكره لتترجم هذه " السلطة الفكرية " في شكل سلوكيات تمتد حتى إلى سياسات الدول العربية (في

عملية صنع و اتخاذ القرارات) ، وهذا ما يجرنا إلى الحديث عن مبدأ أساسي للأسف مفقود أو في " **إغتراب** " في العالم العربي ألى و هو « **الحرية ، أو بمعنى أصح الحاجة إلى الحرية** » **وهي أهم ركيزة يمكن أن يبنى عليها التفكير العلمي ، وهي الأصل الذي يمكن أن تتبع منه الفروع** ، رغم أنه لو نتأمل جيدا في الدين الإسلامي مثلا سنجد أنه بريئ مما ينسب إليه من سلب و قمع و سجن للحرية وراء أقنعة الممنوع و المحرم وغيرها من المبررات التي لا تتجاوز فقط التأويلات أو اجتهادات شخصية و ذات أبعاد فؤوية للدين ، لتدخل بعد ذلك في "سجن" المسلمات و الميولات و حتى الأهواء لدى الجمهور العريض ، « فالأديان و إن كانت في الأصل " صنيعة بشرية " إلا أنها "غرضية " و أهم أغراضها في أصل الأصل ؛ الحرية » ، و لا أرى خيرا من دعوة الله عز وجل في كتابه العزيزفي دعوات متتالية لإعمال العقل :« أفلا يعقلون ؟ أفلا يتدبرون ؟ ....الخ » .

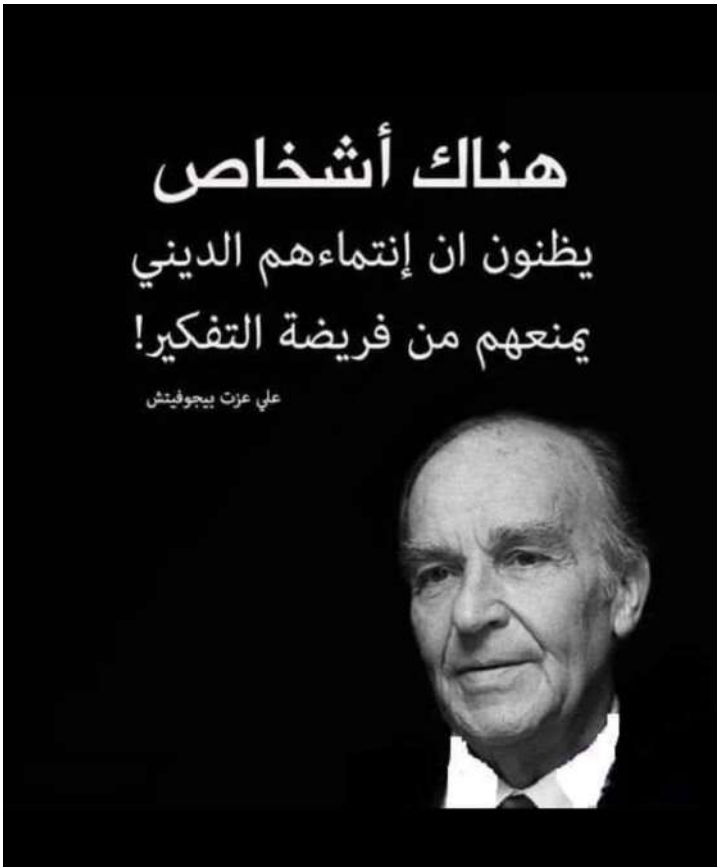

انطلاقا من هذه المقولة لعلي عزت بيجوفيتش الذي يحملنا إلى التوضيح التالي ؛ أن العلم و الدين كلاهما '' صنع بشري '' ، فقد برزا على مر العصور على أنهما القوى المحركة او العناصر الأساسية في الحوكمة الكونية ، هما محركات أساسية في تاريخ بل في مصير الإنسانية ، فرغم اختلافهما '' الجدلي '' فمصيرهما أن يتكاملا و أن يتقاطعا في'' التعقيد البشري '' سواء كان منبعه الموروث أو حتى المكتسب ، « فالتفكير فريضة بشرية إنسانية قبل أن تكون دينية » ، فالإيمان مثلا قائم أساسا على المعتقد و هو العمود الفقري للدين ، فهو المحفز أو الدافع لكل حركة أو سلوك يتبناها الإنسان ، و يترجم إما في شكل عبادات أو طقوس أو سلوكيات ليمتد حتى إلى منهج أو طريقة في التفكير ،« **فيمكن للإيمان كمحرك أن نجده في العلم كما هو موجود في الدين »** ، و بما أننا بصدد الحديث عن الحرية ، فمن المهم استحضار مقولة لأستاذنا فتحي المسكيني من كتابه « الإيمان الحر، أو ما بعد الملة » لما قال : « إن حرية المعتقد لا تكفي كي يقوم هناك فهم أخلاقي حقيقي للدين ؛ بل إن حرية التفكير العمومية هي الضمان الأكبر لإصلاح أي استعمال غيرمفيد لعقولنا في مسائل الدين » [ليضيف] « أن نؤمن بشكل حر، يعني أن نؤمن كالإنسان الحر و ليس كالمرتزق ؛ أي مثل طلب النعيم الأخروي بالتملق المنظم للشعائر» .

و لو نقف عند ملكة الخيال مثلا ، فهو أحد ميزات الكائن البشري أو الإنسان العاقل وهو البوابة الرئيسية نحو « الإبداع » ، وبدون هذا الأخير يكون تجريد الإنسان من انسانيته و هو للأسف ما يتبناه

واقع و حقيقة العالم العربي سواء عبر الثقافة المجتمعية أو حتى المسلمات الشخصية و حتى من خلال السياسات العمومية، « فقتل الخيال هو وئد للإبداع و بالتالي وضع نهاية للحرية وبالتالي التفكير العلمي ».

في علاقة الخيال بالعلم ، تحملنا الصورة ادناه في جولة عبر التاريخ في تطور الخيال الإنساني .

- فلا نستغرب مثلا ضعف نسبة مراكز البحث و التفكير في العالم العربي (وهي مراكز الحرية الفكرية) و إن وجدت فهي فقط " للإشهار" فمنتجاتها لا يقع آعتمادها في صنع و إتخاذ القرارات لدى المسؤولين ، فقد أشار تقرير جامعة بنسلفانيا (مراكز الفكر و المجتمع المدني) الصادر في 17 مارس2021 بشأن مراكز البحوث على مستوى العالم فنجد على سبيل المثال 344 مركزا في المنطقة العربية في حين تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 2203 مركزا بحثيا ، ممايحيلنا إلى معطى اقتصادي مهم ألى وهو غياب الإستثمار في البحث العلمي إلى جانب معطى آخر قيمي أخلاقي بدرجة أولى وهو" معظلة " تهميش العلماء و المفكرين و القدوات ، و من هذا المنطلق أستحضر مقولات لفيلسوف الحضارة مالك بن نبي وعالم الفيزياء أحمد زويل لما قالا ؛ (أنظر في الصورة أسفله)

فالحرية في المخيال العربي"لا تتجاوز حدود الحاكم" وإن آمتدت إلى " الخاصة من العامة " من ذلك الباحثون و المختصون فمحكوم عليها مسبقا أن تكون رهينة المسلمات و المعتقدات العامة وإن خرج الفكر عن هذه الحدود فقد " صبأ " صاحبها و يصبح"حالتا شاذة " ، إلى درجة أنه يقع مصادرة الفكر ببعض التهم ، فإن لم يجرم العالم أو الباحث من قبل العامة لمخالفته التفكير السائد يقع اتهامه من قبل السلطات في بعض الدول العربية بتهم مثل « تهمة الإفراط في التفكير » إلى جانب مصادرة النشر و كذلك الإعلام و الصحافة و هو ما تحيلنا إليه المؤشرات الدولية حول الحرية على غرار **تقرير؛ Freedom House**

(أنظر المؤشرات في الرسم أدناه)

مؤشر الحرية العالمي

تصنيف أداء الدول بعام 2024 وفقًا لمعايير المؤشر

حرية كاملة | حرية جزئية | انعدام الحرية

المصدر: مؤشر الحرية العالمي 2025

Freedom House

تصنيف أداء الدول العربية في عام 2024 وفقًا لمعايير المؤشر

(مجموع النقاط من أصل 100 حيث أن 100 هو الأعلى و1 هو الأدنى)

و لكن الحرية حاضرة في الفكر الغربي بنسبة أعلى وأوفر بغض النظر عن التفكير المادي « و إن كانت هذه الحرية حمالة أوجه أو يختلف مفهومها عبر الشعوب » ، إلا أنه لا يمكن إنكار التقدم العلمي للغرب ارتكازا على « فضيلة الحرية » و في المقابل ارتهان العرب لهم بالتقليد أو التبعية لما ينتجونه من علوم أو معارف ، فالعقلية المادية الرأسمالية للأمريكان مثلا لم تثني أمريكا لتكون أكثر " دولة متدينة " في العالم (وان لايصرح بذلك) و مثال بسيط على ذلك يكفي أن تجد على واجهة عملتها و العملة المعتمدة دوليا (الدولار) عبارة « IN GOD WE TRUST » ، ليمتد ذلك حتى لرؤسائهم المعروف عنهم بأنهم محافظون وعلى رأسهم الرئيس دونالد ترامب .

و بالتالي التجاء الباحثين إلى النشر في مجلات علمية دولية مرموقه له ما يفسره خاصتا فيما يعرف بالعلوم الصحيحة (أنظر الرسم أسفله) لما يجدونه فيها من مناخ و فضاء للحرية (إلى جانب بالطبع اضافتها لرصيدهم البحثي الاكاديمي والعلمي) ، فللمفارقة أن الدول التي تنعدم فيها الحرية مثلما أشير في المصدرأعلاه (السعودية ، مصر والإمارات مثلا) هي من بين أكثر الدول إنتاجا للبحوث العلمية كما يبرز ذلك في الجدول أسفله ، و السؤال الذي يطرح نفسه ؛ لماذا هذه الابحاث لاتستغل في السياسات العمومية للدول العربية رغم عددها و جودتها إلى جانب جدواها وعلى العكس يقع إعتمادها و تكريم والإحاطة بالباحثين أصحابها من قبل الغرب لتكون سببا في تطور ورقي بلدانهم ؟

ec,ono.mic
إيكونوميك

الدول العربية الأكثر إسهاما في الأبحاث العلمية عالميا

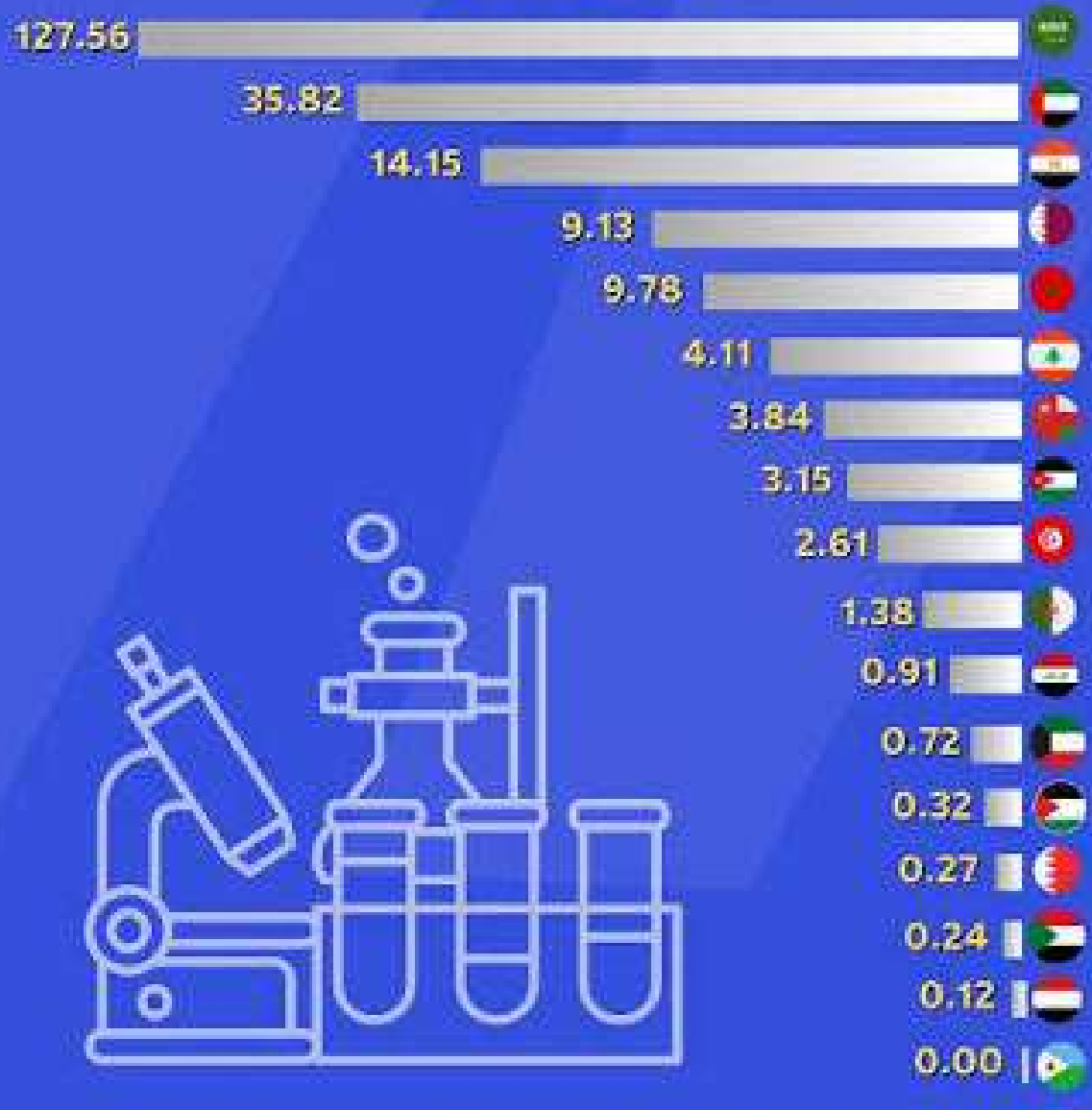

*يعتمد مؤشر Nature على قياس "نسبة المشاركة في النشر العلمي" في 145 مجلة بحثية مرموقة تغطي مجالات العلوم الطبيعية والصحية. ويُركز المؤشر على جودة المشاركة، وليس العدد فقط، من خلال احتساب مساهمة الباحثين المحليين في كل ورقة علمية

@economic

المصدر: تقرير Nature Index 2025

غياب الاهتمام بالعلوم و المعارف على أهميتها مثل « علم المستقبليات » القائم أساسا على الحرية ، و إن وجد (هذا العلم مثلا) فهو يجابه بمعوقات في تطبيقه ، فالعقل العربي حبيس للماضي و المستقبل بالنسبة له في علم الغيب ؛ أي من مشمولات الإله وحده و بالتالي لايمكن للإنسان اقتحام هذا الفضاء لأنه شيء حتمي و بالتالي لايجوز أو بمعنى أصح ممنوع التفكير فيه (لما هو من عقلية متوارثة) ، " وهنا تكمن المعظلة " ، إذ يجب معرفة أن الإنسان مثل ما هو مسير في أشياء هو كذلك مخير أو بمعنى أصح هو « **حر** » وبالتالي هو صاحب القدرة وحتى الإرادة ، وما المستقبل إلا جزء من مسار زمني ابتدعه الإنسان ليكون « ممتدا خطيا » (ماضي، حاضر، مستقبل) لتيسير حياته (كما جاء عن القديس أغسطين حول الزمن ، في كتابه ؛ الإعترافات (Confessiones باللاتينية) وقد امتد ليصبح علما (علم المستقبليات) بل أكثر من ذلك أصبح « الإستشراف » يعتمد كأداة للإدارة و التسيير كما يمكن من خلالها أن يكون للإنسان وقع في. « نحت وتغيير الواقع » و اقتحام مجال « **الغيب المجهول بالمتاح المعلوم** » عبر إستنباط " مستقبليات ممكنة " مثلا من ذلك عبر **« الحلم الذي يمكن له أن يولد الحقيقة » كما قال عالم الإستشراف الفرنسي Michel Godet ، وكما قال رسولنا الكريم : « لو تعلقت همة المرء بما وراء العرش لناله »** ، أو بمعنى أوسع ؛ أنه يمكن للإنسان كتابة مصيره بيده ، و كما قال **الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي : « إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر » .**

- و مع النقائص أو بالأحرى النقاط السوداء و المعوقات التي يعانيها العالم العربي ، وجب معرفة أنه لا تزهر حقول الثقافة و لايسموا الفن و الإبداع و لا تتطور العلوم و المعارف بدون الحرية ، فهي علة الشك و سبب وجوده فهو (الشك) محرك البحث العلمي ، وبالتالي لو أعتمدنا في معادلة حسابية المرجع الأساسي في قياس الموضوعية العلمية لكانت **الحرية** ، ولكن فمابالك ان كانت هذه الأخيرة في أغتراب في الوعي الفردي وحتى الجمعي العربي (الحرية " الكامنة ") وخاصتا **حرية التفكير** .

« فالمعرفة قوة والحرية هي مزيج بين القدرة و الإرادة ، وهنا تصبح المعرفة هي القدرة لتحقيق الإرادة ، و بالتالي لا معرفة دون حرية ولا قوة دون معرفة » .

فالحرية هي " معبد العلماء " وبالتالي دينهم ، وكما قال في ذلك المفكر و المؤرخ التونسي محمد الطالبي : « الحرية ديني » في كتابه « ديني هو الحرية Ma religion c'est la liberté» ، فالحرية هي الوطن الأبدي لكل باحث عن الحقيقة .

2-2-الجدلية البناءة و فلسفة البحث

- الجدلية البناءة

الجدلية (الديالكتيك) ، صراع و تداخل الأضداد ونفي النفي . الجدل كمصطلح فلسفي المقصود به « هو حركة الذهن بين الأفكار» ، والحديث عن جدلية هو حديث عن محاورة ،

تناقض ، اختلاف وتقابل يفضي في الأخير إلى تكامل و تكافل واتلاف و إن بدا في الظاهر اختلاف ، فهي (الجدلية) في نفس الوقت سبب و نتيجة و هي أصل الكون .

تطرقنا في المقدمة على أن الموضوعية العلمية تبقى حقيقة شاقة الإدراك نظرا لأن الباحث في حد ذاته موضوع بحث ، وذلك لأنه لا يمكن له الوصول إلى الحياد بالمعنى التام للكلمة ، بالتجرد بصفة تامة إما من أيديولوجيته أو أفكاره المسبقة أو المسلمات أو غيرها ، لأنه ببساطة بشر مركب من تراكمات (ثقافية، دينية أو اثنية...الخ) « **سواء موروثة عبر جيناته أو مكتسبة من بيئته** » ، إلا أنه مطالب في بحثه العلمي على ابرام نوع من " **العقد الاجتماعي الفكري** " بينه و بين نفسه ، بالتجرد قدر الإمكان من التراكمات الفكرية سالفة الذكر للظفر بنسبة مهمة من الموضوعية العلمية الى جانب أسباب و مكونات أخرى مثل الحرفية و غيرها ، فهو « مطالب بنشر وبسط الحقيقة التي توصل إليها بعد جهد كما هي في أطار الصدق و المسؤولية وبالخصوص ؛ الأمانة العلمية » ، وهو ما يحيلنا إلى الحديث عن طبيعة العلم في حد ذاته باعتباره " منظومة ديناميكية أي في تطور مستمر" (مثلا عبر مسار تطور العلوم في ما يعرف بالقطيعة الأبستمولوجية والحداثة و ما بعدها) ، وبالتالي التفكير العلمي ديناميكي كذلك فلم يعد سجينا لسلطة العقلانية مثلا ، فقد أثبت ماقاله ادغار موران في كتابه « مدخل إلى التفكير المعقد » بأن ؛ « أكبر عدو للعقل هو العقلانية [العقلانية المرتهنة لسلطة المنطق فهذا الأخير تكمن مهمته فقط في تنظيم و ترتيب التفكير و لكنه لايقي العقل من الخطأ أو الزلل بل

يقيده] » كذلك أشار كانط في كتابه نقد العقل المحض إلى « حدود قدرات العقل البشري » ، و بالتالي لا يمكن حصر العلم في حدود المنطق أو التجارب الإمبريقية أو حتى تجارب الفكر (القيام بالتجربة في الدماغ) و كذلك الرصد أو الملاحظة (observation) ، بل يتجاوز (العلم) حدود المنطق ليقتحم حدود" اللامنطق " و من اليقين إلى عدم اليقين (حتى أن هنالك نظرية علمية في الفيزياء تعرف ب« بمبدأ عدم اليقينthe uncertainty principle ») ، وهو ما أثبت مؤخرا في آخر اكتشافات الفيزياء وميكانيكا الكم أو حتى ما يعرف اليوم بالذكاء الإصطناعي (AI) ، حتى أن الخرافة التي كانت نقيض العلم أو التفكير العلمي بعضها أصبحت تكتشف بنتائج علمية مثل مثل ما يعرف ؛ بالعين الحاسدة التي اكتشفت عبر الفيزياء و كذلك الروح على أنها طاقة ، وحتى ما كان يكتب البارحة في الروايات على أنها خرافات (من وحي الخيال) تحولت الى أفلام خيال علمي و منها اليوم إلى حقائق ملموسة عبر التنولوجيا ، و ما الخرافة إلا شكل من أشكال الأسطورة أو ما يعرف بالميثولوجيا التي أصبحت في حد ذاتها إختصاص علمي و تعتمد في العلوم (كإعتماد الميثولوجيا في الأنتروبولوجيا) ، « **بل أكثر من ذلك خروج المعرفة عن مركزية العقل لتمتد لمصادر أخرى** » .

ففي ظل هذا التعقيد و التشابك المحيط بالعلم ، و لفك بعض الشفرات وحل بعض الألغاز مما يحيلنا إلى إستحضار واستدعاء أداة مهمة للإستبصار و التبصر سميناها : " **الجدلية البناءة** ".

فإذا كان الجدل كمصطلح فلسفي المقصود به « هو حركة الذهن بين الأفكار» ، فلتكون الجدلية بناءة عليك "باللعب" على تكامل ، تناسل ، تناغم ، تشابك وبالتالي التفاعل و الحوار بين المتناقضات .

- **بدءا بتركيبة الدماغ البشري" الجدلي " بتناقض وظائف نصفيه الأيمن و الأيسر، وما وجب أن يبنيا عليه من ترابط وتناغم و تكامل (أنظر الرسم أدناه).**

INTERCONNECTION

الدماغ البشري

- التفكير المنطقي
- التصور التفصيلي
- التسلسل المطلوب
- الفكر العقلاني
- إتصال لفظي
- حذر
- التخطيط
- الرياضيات/ العلوم
- المنطق
- رؤية المجال الأيمن
- المهارات الحركية للجانب الأيمن

الجانب الأيسر

الجانب الأيمن

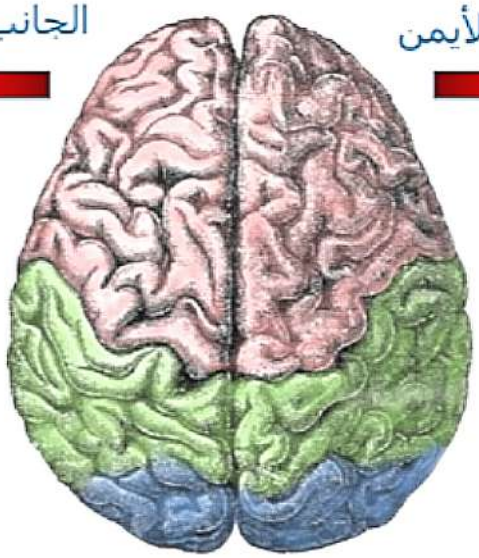

- فكر البديهة
- التصور الشمولي
- التسلسل العشوائي
- التفكير العاطفي
- إتصال غير اللفظي
- مغامر
- بديهة
- الفنون والكتابة الإبداعية
- التخيل
- رؤية المجال الأيسر
- المهارات الحركية للجانب الأيسر

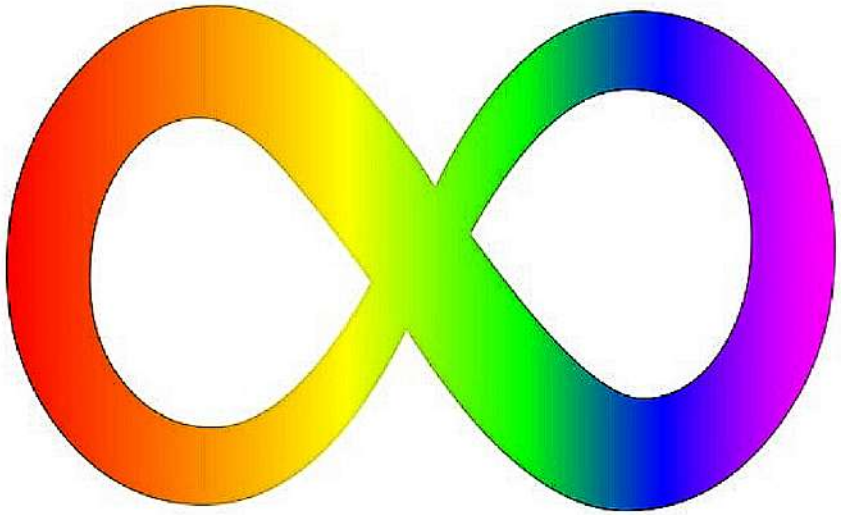

د.جويني

في كتابه « مستقبل العقل » يقول الفيزيائي الشهير« ميشيو كاكاو» (عالم الفيزياء النظرية) : « أن العقل و الكون هما أعظم سرين من أسرار الطبيعة كلها وإنهما الجبهتان الأكثر غموضا وإثارة في العلم » ، ثم يقارن ليشابه بين العقل والكون في الشكل والمضمون ، ففي الشكل يقول :

« هناك 100 مليار نجم في مجرة درب التبانة ، وهذا هو تقريبا عدد العصبونات في دماغنا » ، أما المضمون فيشابه « قدرة العقل على طرح الأسئلة و بين عظمة الكون التي تدفع إلى التساؤل المستمر ، ليشدد أن فهم العقل ليس محاولة طبية أو بيولوجية بل هو بحث عن معنى الوجود » .

فإن حصر العلم ومن ورائه التفكير العلمي في " زاوية " السؤال و الجواب أو السبب والنتيجة ، فمن خلال هذا التمشي مثلا يمكن أن يطرح السؤال بطريقة منطقية لكن الجواب يكون غير منطقي والعكس صحيح حيث يمكن أن ينطلق السؤال بطريقة " ساذجة مثلا سذاجة الطفولة البريئة و التفكير الصبياني "، ولكن لو دققنا النظر وطرحنا السؤال على السؤال فنقول : أولم تبتكر النظريات التي غيرت مسار البشرية لكبار العلماء إلا إستمرارا لأسئلة كانوا قد طرحوها وهم أطفال ؟ من هؤلاء ألبرت اينشتاينعبر نظرية الجاذبية ؛ النسبية العامة ، و بول ديراك عبر المادة المضادة وغيرهم كثر

ومن هذا المنطلق نعود لجدلية تركيبة الدماغ البشري عبر وظيفة شطريه مما يحيلنا إلى « علاقة الوعي باللاوعي » ، فعندما يقال مثلا « الحاجة أم الإختراع » ، فليس المقصود هنا فقط ذلك الشيء

الذي من خلاله يمكن " سد الفجوة " لتلبية الحاجيات المادية ، بل تمتد الحاجة إلى " تلبية النداء " الداخلي الروحاني المعنوي في شكل " غريزي ، هواوي ، نفسي و حتى إيماني " مدفوع بحب الإطلاع و بالتالي اللاوعي وحتى بالخيال .

سوف نحاول في هذا الجزء التطرق إلى الجدلية سالفة الذكر من زاوية نظر « علم النفس » و بالتحديد اعتمادا على أحد مؤسسيه وأعمدته « سيقموند فرويد » .

يحوي الدماغ البشري في نصفيه : الجزء الأيمن المسؤول عن العاطفة ،المشاعر و حتى الإلهام و الجزء الأيسر المسؤول عن التفكير، التحليل ، العقلانية و المنطق .

حسب تصنيف سيقموند فرويد للعقل البشري (Topographical model of mind) الذي يحوي الوعي (consciencus) وهو أن يكون الإنسان واع بتجاربه في نقطة من الزمن وتستعمل فيه الحواس و بالتالي التركيز أثناء التفكير، ثم قبل الوعي (preconsciencus) ويحوي الذكريات ، الأحداث و التجارب ثم اللاوعي (unconsciencus) الذي يحوي المشاعر و العواطف وحتى الرغبات.

و في تصنيف آخر لفرويد (Structural model of mind) يحوي الوعي داخله الأنا (ego) أي التفكير المنطقي، أمّا اللاوعي فيحوي داخله الأنا العليا (super ego) المسؤولة عن المثل، المبادئ والقيم (المأخوذة من المجتمع مثلا) والأخلاقيات في السعي إلى " الكمال " ، كما يحوي اللاوعي كذلك الهو (ID) المسؤول

عن الهوى ، الرغبات أو الشهوات ، الغرائز؛ أي السلوك اللاوعي و بالتالي التفكير الغير منطقي .

فما نريد الإشارة إليه من خلال ما ورد من تجارب هؤلاء العلماء (أينشتاين و ديراك) و ما تطرقنا إليه من تحليل فرويدي أنه « يمكن للاعقل أي اللاوعي و اللامنطق أن يتحكم في العقل أي الوعي و المنطق » و تكون له إنجازات علمية مبهرة ، و هو ما يحيلنا إلى " ملكة التفكر" (بالفتحة فوق الفاء) وهي مرحلة ومرتبة أعمق في التفكير ؛ تربط بين العقل والقلب ، وهو **يحملنا إلى الخروج عن المعهود " أي الخروج عن مركزية العقل في التفكير" لنطرق باب " التفكير بالقلب عوض العقل " أو بمعنى أصح « عقلانية القلب »** من ذلك ملكة " البصيرة و الوحي مثلا " و حتى الإيمان و كما ورد عن أستاذنا فتحي المسكيني من خلال كتابه « الإيمان الحر و ما بعد الملة » ؛ « أن الإيمان المخلص (بالشدة فوق اللام) ينبغي أن يكون إيمانا حرا ، مؤسسا على نوايا من القلب خالصة ». حتى في " ظاهرة " الإلهام (Inspiration) التي يربطها العلماء " برسائل في شكل ترددات أو ذبذبات " من الكون الكبيرليتحول الدماغ عبر ما يعرف بالغدة الصنوبرية إلى " لاقط" (مثل الهوائي) في اشارة لدور الطبيعة في الفعل البشري بأعتبار« **الإنسان هو طبيعية الطبيعة** » ليبرز ذلك جليا في" تقنية أو حتى فلسفة " التأمل (Méditation) حين يقع " إيقاف التفكير" والشعور فقط باللحظة الحاضرة ، « **ولو أنه أثبت علميا حديثا أن الوعي يتجاوز حدود الدماغ المادي إلى ما فوقه الكوني وحتى الميتافيزيقي أو الروحاني » ، ليحملنا هذا بدوره إلى سؤال خر**

عن " طبيعة " الوعي في حد ذاته هل هو نتاج للدماغ أو للبيئة الكونية ؟ ، بل أبعد من ذلك عند التطرق من قبل العلماء إلى حالة الوعي خارج الجسد في حالات مثل « تجربة الاقتراب من الموت (Near-Death Experiences)NDEs» التي تتميز غالبا بإحساس مغادرة الجسم و عودة مفاجئة للوعي ، « مما يفسر بأن الوعي ليس نتاجا للدماغ المادي كما أصطلح عليه بصفة عامة ، بل أن الوعي " كروح " وجد قبل المادة ، مثلما توصل لذلك بعض العلماء في استنتاجاتهم عبر بحوثهم حديثا » .

- وحتى النظام (الترتيب) المبني عليه التفكير العلمي(كما هو متعارف عليه) تظاف اليه أو جب كذلك الأخذ بعين الآعتبار مبدأ اللانظام (أو الفوضى) عبرمايعرف ؛ بالصدفة أو "العشوائية العلمية" (المقصود هنا بالصدفة هو حدوث الأشياء أو الأحداث أو الظواهر بطريقة غير متوقعة و «ولأسباب» غير معروفة أي مجهولة) ، « **فالحتمية (سبب يؤدي لنتيجة) لوحدها تأدي إلى « التكرار و الرتابة » ، و اللاحتمية (العشوائية) لوحدها من جانبها كذلك تؤدي إلى « اللاشيء » ، و بالتالي تلازم وتكامل اللاحتمي و الحتمي أو الصدفة و الضرورة في الفكر البشري هما أساس حرية التفكير » .**
- ثم آعتماد اللامنطق في المنطق و حتى اللاوعي في الوعي وكذلك المطلق في النسبي بآعتبار" أنه مايبدوا في الظاهر نسبي هو في الأصل يقوم على المطلق " الذي يتجلى في شكل مبادىء أساسية كعلاقة المسؤولية في مبدأ الحرية

وكذلك علاقة العلم(نسبي) و الدين(مطلق) ، إلى جانب جدلية الحقيقة و الخيال أو المادي و اللامادي أي الميتافيزيقا ففيزياء الكم مثلا لا يمكن إدراك الحقائق فيها إلا بالخيال كنظرية « التشابك الكميQuantum Entanglement » أو « كفرضية الأكوان المتعددة Multiverse » .

وكما قال غاستون بشلار :

« الاشتغال بالعلم ، هو أن تفكر عكس عقلك»

<< Doing science is thinking against your brain >>

فقد أشاركانط عبر كتابه « نقد العقل المحض » أن « عقولنا قد تطرح أسئلة تفتقر إلى القدرة للإجابة عنها » ، ومن هذا المنطلق وجب إشارة إلى محدودية العقل في عملية التفكير ، و حتى في علاقة الإنسان بالآلة عديد التساؤلات من ذلك « طبيعة الذكاء و علاقته بالوعي أو الإدراك » حيث يرى العلماء أن ما يعرف بالذكاء الإصطناعي هو فقط " محاكات تحليلية Analytical Simulations " للعقل وليس للذكاء البشري الذي هو ؛ « مزيج بين العاطفة والوعي مع ذبذبات أو إهتزازات (فيزيائية) » ، وكما قال عالم الرياضيات الفرنسي Cédric Villani ؛ « الذكاء الاصطناعي هو فقط نظرية رياضية (Mathématic Theory)» وهو ما يحيلنا بدوره إلى الوقوف عند استعمالات الذكاء الإصطناعي في البحث العلمي عبر أدوات مثل Software البرمجيات (أنظر الصور أسفله) و حتى الاجهزة و المعدات Hardware كالروبوتات (أنظر مثال الصورة التمثيلية أسفله) و

الحواسيب المتطورة الذكية منها الكمومية مثلا Quantum computers ، فحسب دراسة لشركة « وايلي Wiley » المختصة في النشر الأكاديمي والبحثي ؛ ارتفع استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل عام بين الباحثين من 57% في عام 2024 إلى 84% في عام 2025 ، « و بالتالي استخدام الذكاء الإصطناعي كمساعد لا كبديل عن التفكير البشري » . و هنالك أصلا من يتساءل هل الذكاء الإصطناعي هو فرصة أو تهديد ؟ لذلك جاء الرد من المنظمات الدولية " لظبط " حدود استخدامه ، لأنه تحول " لعملاق يصعب السيطرة عليه " لذلك وجب الإشارة لمعطى مهم خاص ب « **التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الإصطناعي اثر المؤتمر العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (اليونيسكو UNESCO) المنعقد في 2021 في باريس** » . **(أنظر الرابط في الإحالات و المراجع)**

أدوات الذكاء الاصطناعي
في البحث العلمي

1 البحث عن المراجع واكتشاف الدراسات
- **Semantic Scholar**
- **Elicit**
- **Consensus**
- **ResearchRabbit**

2 تحليل الاستشهادات والتحقق من الأدلة
- **Scite**
  تحليل كيفية الاستشهاد بالأبحاث (يدعم، يعارض، أو .مماثل)
- **Connected Papers**
  اكتشاف العلاقات بين الأوراق البحثية

3 قراءة الأوراق وتلخيصها
- **SciSpace**
  فهم الأوراق وطرح الأسئلة
- **NotebookLM**
  تلخيص وتنظيم الملاحظات والأوراق
- **ChatPDF**
  حوار مع ملفات PDF وتلخيصها

4 الكتابة وإعادة الصياغة والترجمة
- **ChatGPT**
  كتابة، إعادة صياغة وتطوير الأفكار
- **Claude**
  مساعد ذكي للكتابة والتحليل
- **Grammarly**
  تحسين القواعد والأسلوب
- **DeepL**
  ترجمة دقيقة وطبيعية

5 إدارة المراجع وتنظيمها
- **Zotero**
  إدارة المراجع وتنظيم الاقتباسات
- **Mendeley**
  تنظيم المراجع والتعاون البحثي

6 تحليل البيانات والبرمجة
- **Python**
  تحليل البيانات والذكاء الاصطناعي
- **R**
  التحليل الإحصائي والنمذجة
- **Jupyter**
  Notebooks والتفاعلية والدمج
- **أدوات المساعدة البرمجية بالذكاء الاصطناعي**
  (GitHub Copilot, Codeium, Tabnine)

7 إنشاء الجداول والرسوم البيانية والتصورات
- **أدوات تحليل البيانات**
  (Excel, Google Sheets, Pandas)
- **أدوات التصور والرسوم التفاعلية**
  (Tableau, Power BI, Plotly, Datawrapper)

8 فحص التشابه والنزاهة العلمية
- **iThenticate**
  فحص التشابه والنزاهة
- **Turnitin**
  كشف التشابه والسرقة العلمية

⚠ التقارير أدوات مساعدة، ويجب دائمًا التحقق البشري النتائج من

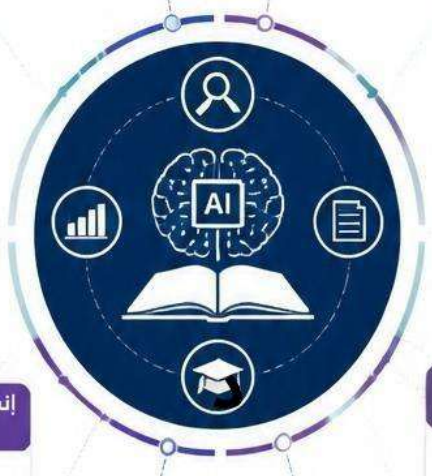

استخدم الذكاء الاصطناعي كمساعد، لا كبديل عن التفكير النقدي

1. **التحقق من المصادر**
   تحقق من موثوقية المعلومات وصحة المراجع دائمًا.
2. **حماية البيانات**
   لا تشارك بيانات حساسة أو سرية، احترم خصوصية المشاركين.
3. **الإفصاح عن الاستخدام**
   أفصح عن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي وفق متطلبات الجهة أو المجلة
4. **تجنب اختلاق المراجع**
   لا تستخدم أدوات توليد مراجع غير حقيقية. الدقة والأمانة مسؤوليتك.

التفكير النقدي + الخبرة البشرية = بحث علمي رصين ومؤثر

د.جويني

د.جويني

وفي نفس الإطار و بالتعمق أكثر في مجال الذكاء الإصطناعي و لكن في **باب « التهديدات ، الآثار و الإنعكاسات السلبية » من استعماله و عبر« بوابة السياسات العمومية للدول و في مجال الطفولة ، السويد نموذج »** ، فبحسب دراسة قام بها معهد كارولنسكا بالسويد (بالسويدية Karolinska Institutet) و هو جامعة طبية الذي نشربحثه مؤخرا وآستنتج فيه بأن « **هناك دليل علمي واضح بأن الأدوات [الشاشات الذكية مثلا] تعيق بدل تطوير التعليم** » مما دفع السويد إلى تقليل استخدام الشاشات في المدارس والعودة إلى الكتب الورقية والدفاتر والأقلام ، في محاولة لتحسين مستويات القراءة والكتابة لدى الطلاب . وتقول الحكومة إن الإفراط في استخدام الأجهزة الرقمية قد يشتت انتباه الأطفال ويؤثر في قدرتهم على التركيز واستيعاب المعلومات ، خصوصا بعد تراجع نتائج السويد في اختبارات القراءة والرياضيات الدولية. ومنذ عام 2025، لم تعد رياض الأطفال ملزمة باستخدام الأدوات الرقمية .

وبحسب موقع « سطور» و نقلا عنه ؛ حيث أعلنت وزارة التعليم السويدية تراجعها عن الخطة الشاملة للرقمنة ، وإلغاء إجبار الأجهزة الرقمية للأطفال تحت سن 6 سنوات ، كما خصصت الحكومة مئات الملايين من الكرونات لشراء وتوزيع الكتب المطبوعة وإعادة إعادة الاعتماد على الورق والقلم والطباعة الورقية بعد هبوط مستويات القراءة لدى الطلاب في تقييمات PIRLS الدولية (Progress in International Reading Literacy Study) . و على منوال السويد قائدة هذا التوجه

فرنسا أيضا حظرت الهواتف الذكية في المدارس الابتدائية والإعدادية بقانون رسمي ، وتوسع التدريج ليشمل حظر الأجهزة الذكية تماماً أثناء اليوم الدراسي .

- إيطاليا: أعلنت وزارة التعليم الإيطالية منع استخدام الهواتف المحمولة والأجهزة اللوحية داخل الفصول حتى للأغراض التعليمية في المراحل الأساسية ، والتركيز على الكتابة بخط اليد.
- الدنمارك: أصدرت الهيئة الوطنية للتعليم توصيات صارمة للمدارس بحظر الهواتف وحجب المواقع غير التعليمية أثناء ساعات الدراسة بعد تقارير عن تشتت انتباه الطلاب.
- فنلندا والنرويج: أقرت فنلندا تعديلات تشريعية تمنح المدارس سلطة أكبر لمنع استخدام الهواتف في المدارس، بينما فرضت أغلبية المدارس النرويجية حظرا كاملا للحد من التشتت وسلوكيات التنمر الإلكتروني.

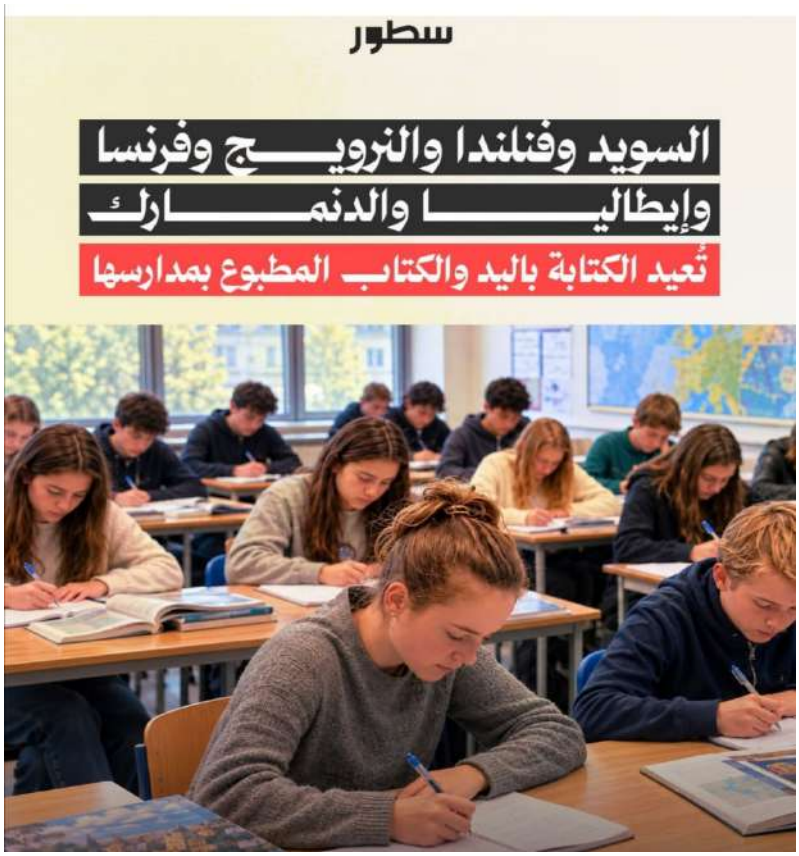

وفي تقرير آخر يثبت التأثير السلبي للذكاء الإصطناعي على التفكير لكن لدى البالغين هذه المرة ، ففي 2005 بدأ باحثون من جامعة لندن (University of London) بدراسة « آثار الانقطاعات المستمرة [التوقف عن العمل] الناجمة عن رسائل البريد الإلكتروني والرسائل (Emails and Messages) على العاملين » ، و لكن بعد عشرون سنة تطور البحث و تحول السؤال إلى ؛ « ماذا يحدث عندما تفرض علينا بيئتنا باستمرار مقاطعة نشاط ذهني للبدء في نشاط آخر؟ » وهذا السؤال و إن كان خاص بالموظفين بالمكاتب إلا أنه حمل أسئلة أخرى " لظواهر" على غرار « الإنقطاع على مشاهدة فيديو أو التسريع بمشاهدته و الإكتفاء بقراءة التعليقات حوله ، أو كذلك قراءة البعض من مقال ومن ثمة قراءة الملخص ....الخ ، « اذ تم التوصل إلى أنه لا تكمن المشكلة ببساطة في تشتت انتباهنا ؛ إذ ربما يكون هناك شيء أعمق قيد التغير، ألى وهو قدرتنا على تحمل الجهد الفكري المتواصل ، وهو أمر قد تكون له عواقب مباشرة على قدرتنا على التفكير النقدي ».

« لكن اليوم ومع وسائل التواصل الاجتماعي (Facebook و Twitter Snapchat و YouTube و) ووفقا لمسح وطني أجراه فريق بحثي بقسم بحوث الإعلام والتكنولوجيا والصحة في جامعة بيتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية في 2019 ؛ فإن الإفراط في استخدام هذه المنصات يؤدي إلى تشتيت المخ بين مهام متعددة ، وهوما ينعكس سلبا على الصحة العقلية والقدرة على الإدراك والانتباه ، وقد يتطور الأمر إلى الإصابة بالاكتئاب وسوء

الحالة المزاجية مؤكدين على أنه حتى لو انخفضت مدة المكوث على المنصة ، يظل الرابط السلبي بينها وبين الاكتئاب وثيقا »

مأخوذ و بتصرف عن بحث منشورفي موقع « المجلة الأمريكية للعلوم الإنسانية والاجتماعية » بعنوان : استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ومؤشرات الصحة العقلية لدى عينة من طلبة جامعة دمشق في إطار تحقيق التنمية المستدامة The use of social media and mental health indicators among a sample of Damascus University students within the framework of achieving sustainable development

و في مقال نشر مؤخرا في إم آي تي تكنولوجي ريفيو(بالعربية) MIT Technology Review عن الذكاء الإصطناعي ، بعنوان : « مارك زوكربيرغ يكشف فشل وكلاء الذكاء الإصطناعي في تحقيق النتائج المتوقعة » : في تحول مفاجئ لعملاق التكنولوجيا ميتا (Meta) ، كشف مارك زوكربيرغ في اجتماع داخلي للشركة عن اخفاق وكلاء الذكاء الإصطناعي في تحقيق التقدم الذي كانت تطمح إليه الإدارة . « فلم تعد فكرة الإستبدال الكلي للموظفين بالذكاء الإصطناعي تبدو بالسهولة التي روج لها قادة التكنولوجيا في بدايات طفرة نماذج اللغة الكبيرة ». ففي أروقة ميتا ، اتضح أن المسار الذي رسمته الإدارة لتطوير وكلاء ذكاء إصطناعي قادرة على اتخاذ القرارات و تنفيذ المهام بشكل ذاتي قد اصطدم بجدار من التعقيد . ويعود ذلك جزئيا إلى أن

« العمل البشري ليس مجموعة من المهام المتكررة ، بل هو مزيج من السياق و الحدس و القدرة على التعامل مع المواقف غير المتوقعة ، وهي صفات لا يستطيع الذكاء الإصطناعي تقليدها حتى الآن » . **(بتصرف)**

ففي كتابه « المستقبل ، ستة محركات للتغيير العالمي » يقول آل غور ؛ « أدت الإتصالات الرقمية في جميع أنحاء العالم و الانترنت و ثورات الحاسوب إلى ظهور " العقل العالمي " الذي يربط بين الأفكار و الأحاسيس لمليارات البشر كما يربط الآلات الذكية و الروبوتات المنتشرة في كل مكان ».

فيكفي أنه « مع التسابق المحموم للتطورات التكنولوجية ، لا سيما الذكاء الاصطناعي (AI) ازدادت العلاقة بين الإنسان و الآلة تعقيدا، فقد ابتكرت البشرية مفهوما جديدا أو بالأحرى مبدءا رائجا و"هو؛ « ما بعد الإنسانية Transhumanism » أو الإنسان المتعالي ويطلق عليه أيضا " التفردThe Singularity " ، فعند سماع هذه المفاهيم ، يتبادر إلى ذهن الكثيرين " الإنسان الآلي" و"السايبورغ" ومفاهيم موازية أخرى » ، مما وضع كذلك عديد الأطراف في مواجهة تساؤلات أخلاقية في الأوساط العلمية و حتى في الدينية منها ، ليكثر الجدل حول « طبيعة أو ماهية الإنسان » من جانب أخلاقي صرف .

مأخوذ عن كتابنا ؛ « أخلاق الطبيعة ، سمفونية الحياة »

(أنظر الرابط في الإحالات)

وكما تساؤل المؤرخ يوفال نوح هراري Yuval Noah Harari في كتابه « الإنسان الإله ، تاريخ وجيز للمستقبل » : « كيف سيتعامل الإسلام [كدين] مع الهندسة الوراثية ؟ وكيف ستتصرف الإشتراكية مع حلول الروبوتات محل العمال ؟ وكيف ستجابه الليبرالية ظهور الأخ الأكبر يتهادى على نهر من البيانات الضخمة ؟ » [ليضيف] : « قد تتمكن التقنية الحيوية من إطالة أعمار البشر و ترقية أجسادنا وعقولنا على نحو لم نشهد له مثيلا من قبل ، لكن هل ستتاح هذه التحسينات للجميع ؟ هل ستنفصل البشرية إلى نوعين : بشر خارقين أثرياء ، وعقال (Homo Sapiens) عاديين فقراء ؟ »

ليخلص في الأخير إلى مقولته في كتابه « العاقل Sapiens »
حين قال :

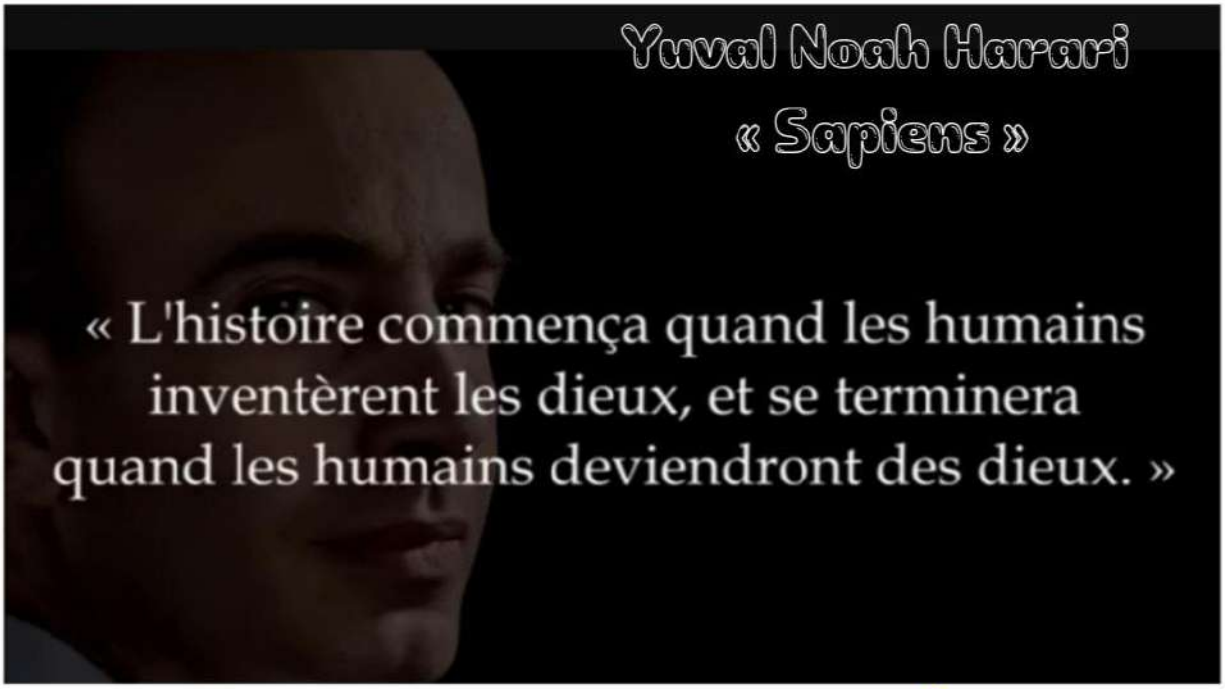

تبدأ القصة حين اخترع البشر
الآلهة ، وستنتهي حين يصبح
البشر هم الآلهة

The Economist
RISE OF THE SUPERHUMAN

ـ فلسفة البحث

في المرور عبر الجدلية ” كمصطلح فلسفي “ يأخذنا الحديث إلى مفهوم « **فلسفة البحث** » و بالتالي طرح السؤال ؛ الشك (الشك طريق إلى اليقين كما قال ديكارت) و النقد ، الإستدلال التحري و التحليل ، الإبحار ضد التيار ، اعمال العقل أو المنطق (رغم أن المنطق لا يقي أحيانا من الزلل) ، فعملية البحث العلمي في حد ذاتها هي فعل ، مجهود مادي و معنوي أو جسدي و ذهني و حتى روحاني ، هو ديناميكية تفاعلية بين الروح و الجسد و العالم الخارجي سواء كان فيزيائي أو حتى ميتافيزيقي ، هو منظومة مترابطة مركبة و متشابكة ، معقدة الأجزاء و الأطراف و الميادين و العوالم .

ففي هذا المضمار يحملنا الحديث عن البحث إلى صفة الباحث التي يربطها الأغلبية ” و للأسف “ بالإنتماء إلى الجامعة من خلال ” صفته الأكاديمية “ عبر رسالات الماجستير أو الدكتوراه ، و هذا مفهوم نظرا للرؤية أو الثقافة السائدة التي يقع اختزالها في الصفة الأكاديمية للباحث بينما « **البحث العلمي أصلا هو فلسفة حياة على مدة الحياة و ما يعرف ” بالباحث المستقل نموذج “**» ، **فكما تتشابك** الأسئلة مع الأجوبة في الحياة الخاصة نفس الشيء مع البحث ، لنتساءل و نسأل مثلا لماذا نبحث وعن أي شيء سنبحث وما الغاية من البحث وما مصير البحث ولمن هو موجه وماهي مصلحتي من البحث وكيف يكون البحث ؟ و؟؟؟؟ ، كما تتشابك فيه الذات مع الصفات و الأنا مع الأخروحتى الغير، هو « مشروع انساني حياتي ، شخصي وعام أوفردي وجماعي ، جزئي و كلي »

، « لنسأل في الأخير، هل يستطيع العلم من رائه االبحث العلمي الإجابة على جميع أسئلتنا ؟؟؟ »

البحث يمكن اعتباره كفن كذلك ، « فن البحث عن الحقيقة الغير مدركة رغم ادراكها » ، هو فن التفكير في إحالة إلى الجمالية أو الإستطيقا Esthétique حين يرتبط الجانب المادي بالمعنوي أو الروحاني ، « فالبحث هو " مأساة " في حد ذاته (بالمعنى الإيجابي للكلمة) حين تتشابك فيه و تتصارع و تتناقص الاحاسيس و المشاعر، فهو منهك و في نفس الوقت مريح ، " يتسابق " فيه السلم و الحرب ويتكامل فيه الذكاء مع الغباء ويتصارع فيه النجاح والفشل ، الأمل مع القنوط أو اليأس ، و تفتح فيه أبواب الجنة و النار و تختبر فيه الشخصية القوية من الضعيفة ، العالمة من الجاهلة ، الشخصية المثابرة و الطموحة و الفاعلة من غير الفاعلة أو الفاشلة ....الخ » .

Le concept de “vérité”, compris comme dépendant de faits qui dépassent largement le contrôle humain, a été l’une des voies par lesquelles la philosophie a, jusqu’ici, inculqué la dose nécessaire d’humilité.

Bertrand Russell

لقد كان مفهوم ” الحقيقة “ باعتبارها أمرا يعتمد على وقائع تقع تماما خارج نطاق السيطرة البشرية - إحدى الوسائل التي غرست بها الفلسفة ، حتى الآن ، القدر اللازم من التواضع .

برتراند راسل

البحث كذلك كثقافة مجتمعية كما هي فردية ، تترابط فيها وتتقاطع عديد " الأولويات " أبرزها القراءة أي المطالعة و التي من خلالها يتم نحت « الخلايا العصبية neurons » للدماغ البشري ، فيكفي أن نذكرعن تقريرلمنظمة اليونسكو(UNESCO) ؛ « أن الطفل العربي يقرأ 7 دقائق سنويا ، بينما الطفل الأميركي يقرأ 6 دقائق يوميا ، وأن معدل ما يقرأه الفرد في أرجاء العالم العربي سنويا هو ربع صفحة (كتاب) فقط » . فثقافة البحث تبرز جليا في الدول المتقدمة من خلال نسب القراءة إلى جانب نسبة الإنفاق عن البحث والتطوير(انظر الرسم في الديباجة أعلاه كمثال ؛ الدول الأكثر إنفاقا على البحث العلمي) .

وهنا دعوة لإعتماد الفلسفة أم العلوم كإحدى أعمدة البحث العلمي ومناهجه عبر ماتوفره من " آليات و مستلزمات و تقنيات " مهمة بل ضرورية للتفكير؛ كالسؤال و النقد و التحليل..... الخ ،هذا و قد أثبت نجاعة هذا التمشي عديد العلماء من خلال تجاربهم وحتى مؤلفاتهم ، فلو نأخذ مثلا كتاب « الصدفة و الضرورة Le Hasard et la Nécessité » ل جاك مونو Jacques Monod الحائز على جائزة نوبل في الطب " هو كتاب على شاكلة محاولة في الفلسفة الطبيعية عبرالبيولوجيا الحديثة essai sur la philosophie naturelle de la biologie moderne "

« الا أنه وجب الإشارة أن الفلسفة وان اعتمدت على العقل أو المنطق فإن هذا الأخير لايقي الباحث من الزلل ، و كما قال ادغار موران : « أكبر عدو للعقل هو العقلانية » ، فاللامنطق يمكن أن يكون هو الحقيقة كما أشرنا في أمثلة سابقة مع فيزياء الكم مثلا

حيث يمكن أن يكون ما يبرز لنا كحقيقة إما أن يكون جزء من الحقيقة أو ليس هو الحقيقة أصلا .

« وان كان اشتغالنا عن البحث عن الحقائق العلمية من خلال البحث العلمي إلا أن هذا لاينفي أن يكون الإنسان " بطبعه باحث عن الحقائق " ماديا و حتى معنويا ، فكريا و حتى روحيا من خلال الوقائع و الأحداث أي في حياته العادية ، فهو في نفس الوقت مسير و مخير، مزيج من الموروث و كذلك المكتسب عبر جيناته و كذلك بيئته » . وهو ما يحيلنا إلى معطى مهم آخر ألى وهو ؛ إرتباط البحث العلمي إرتباطا وثيقا بمفهوم « التنمية المستدامة » وان ارتبط هذا المفهوم أكثر بالجانب الإقتصادي إلا أنه لا يمكن نفي أن التنمية في حد ذاتها تعني مسار تغييروتطور يربط البشر ببقية الكائنات الحية و المخلوقات لضمان استدامة منظومة الحياة . فما يقدمه البحث هو " استمرارية " الوجود البشري في علاقته بما حوله (البيئة ، الطبيعة) هو في حد ذاته « **فلسفة وجودية** » تعبرفي جانب منها عن " رفض الإنسان فكرة الإندثار أو الزوال " وتحمله مسؤولية البقاء " الأبدي " (أي ما لا نهاية له " في المستقبل") ،« لذلك تجده دائما يرفض فكرة الموت ليعبرعنها بحجج إما نفسية أو دينية كالبعث بعد الموت و حتى الجنة و النار» .

من بين الإشكاليات التي تعانيها البحوث وجود " فجوة بين النظري و التطبيقي بين الواقعي و الأكاديمي ، و هنا تبرز جليا فلسفة البحث حيث يكون البحث لسان حال الواقع لإحداث تغيير فيه ، كما سماه بيير بورديو Pierre Bourdieu ب" **الاشتباك الميداني** " ؛

حيث يربط النظرية بالبحث التجريبي ، ليقول : « فالنظرية بدون واقع ميداني هراء ، والبحث بدون نظرية عمياء » . وحتى إن كان البحث لايمكن له تجاوز النظري" لطبيعته الفكرية مثلا " أي هو لسان حال فكرة ليس لها " في الظاهر" تأثير في أو على الواقع ، لكن لو دققنا النظر جيدا فسنجد العكس تماما . و في هذا السياق (أي العلاقة بين النظري و التطبيقي) لكن في جانب آخر منه ؛ **كان " المسارالتقليدي " للعلماء يتبع المنهج التالي ؛ اكتشاف النظرية ثم تطبيقها فيما بعد على أرض الواقع أو في الميدان ، لكن اليوم مع بروز علوم و اختصاصات جديدة انقلبت الآية ليكون العكس ؛ أي البدء و الإشتغال أولا على التجارب التطبيقية للوصول في النهاية للنظرية ، وهو ما نجده (هذا التمشي) غالبا في الإختصاصات التقنية الدقيقة كالفيزيائية أو الميكروتكنولوجية مثلا** » وهوما يحيلنا إلى طريقة جديدة في التفكير وبالتالي البحث العلمي .

إذا كان الكوجيتو الديكارتي ربط الوجود بالأنا المفكرة و التي ربطها بالوعي والإدراك العقلي مثل: الشك، التساؤل، التخيل، الشعور ، و خلافا لما جاء عن ديكارت و غيره ، فلنا أن نتساءل و نسأل ؛ من هو المفكر ؟ فكل انسان يفكر ، فهل المقصود هنا درجات من التفكير؟ من أين يستمد المفكر صفته هذه ؟ هل الباحث يعتبر مفكرا وغيرهذا من الاسئلة التي تستحق في حد ذاتها التفكير. إذ يعرف عالم الإجتماع الفرنسي بييربورديو Pierre Bourdieu « المفكر؛ لا ككائن متعالي أو نبي يوزع الدروس والأحكام الأخلاقية الجاهزة ، بل باعتباره **" مثقفا جماعيا "**

(تأسيس عمل جماعي منظم يمنح الصوت للضعفاء) ، يشتغل بالعلم و الأداة النقدية لتعرية آليات الهيمنة و العنف الرمزي في المجتمع » ، و مثله في ذلك أو شبيهه رغم اختلافهم « أنطونيو غرامشي ؛ **بمثقفه العضوي** » الذي يرى فيه ؛ « ذلك العنصر المفكر و المنظم في طبقة اجتماعية أساسية معينة ، و لا يتميز هؤلاء المثقفون بمهنهم ، التي قد تكون أية وظيفة تتميز بها الطبقة التي ينتمون إليها ، بقدر ما يتميزون بوظيفتهم في توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون إليها عضويا » .

و نقول : « **أن المفكرهو ؛ المنطلق من حيث انتهى غيره (في مختلف العلوم أو الإختصاصات) ، هو الباحث المغامر، الخارج عن الأطر(سواء التقنية ، الأكاديمية و حتى المجتمعية) ، هو المجيب لمتطلبات زمانه و مكانه ، هو المبدع الخلاق الملهم الرائد و القائد الشجاع ، الخارج عن مسار القطيع فهو؛ المختلف والمنفرد ، " الصعلوك الخارج عن القانون " (بالمعنى الإيجابي للكلمة) ، هو البوصلة في حالات التيه و الضياع ، فهو المنقذ و مشيد الطريق عندما لا يكون هنالك واحد (مستقات من مقولة لحنبعل) ، هو " صانع الزمن و مهندسه " في امتداده بين الماضي و الحاضر و المستقبل** » . وفي سؤالنا من أين يستمد المفكر صفة هذه ، فنقول : « أن الإنسان يحتاج دائما لغيره أو للآخر ليرى من خلاله جزء من صورته و ليس الكل ، لأن كل رأي شخص في آخر هو مايراه فيه فقط امتداد لقناعانه الفردية ليس إلا، وبالتالي ليست معيارا بل تبقى دوما نسبية لكن لها تأثيرفردي أو شخصي و حتى مجتمعي ، فتصنيف أو نعت أو تسمية فرد من

قبل فرد آخر أو جماعة على أنه مفكر مثلا هذا له تأثير نفسي و حتى أكاديمي وآجتماعي وحتى في تصنيف الفرد لنفسه يقوم على المقارنة مع الآخر» ، و نقول في أجابة على سؤال آخر ؛ هل الباحث هو مفكر؟ لنجيب ؛ أن الباحث بالضرورة يجب أن يكون مفكرا و ليس حاملا لدرجات علمية الغرض منها أغراض أخرى غير العلم (الشغل ، التباهي.....) وإن كان هذا مفهوم و لكن من غير المفهوم أو المقبول أن تكون صفة باحث لإنسان غير حامل لصفة مفكر، فعلى الباحث أن يكون مفكرا والمفكرباحثا مدى الحياة .

- مهما تعمق الإنسان في البحث من أصغر الجسيمات إلى أكبرها و حتى في ذهابه إلى الماورائيات ، هو استكشاف و اكتشاف في رحلة بحثه عن ذاته و هويته البشرية عبرالعودة إلى الاصل من خلال الذهاب بعيدا إلى الأمام في سبيل إنسانية الإنسان ، « **فقد خلقنا لنبحث عن أنفسنا من خلال أو عبر و حتى في مختلف العوالم التي أصبحنا متيقنين أننا ننتمي إليها ، ذاك هو الإنسان متعدد الأبعاد** » .
كرحلة البحث عن النواة أوالخلية الاولى للبشر على كوكب المريخ وكما قال عالم الفيزياء الفلكية هيوبرت ريفز

Hubert Reeves :

NOUS NE SOMMES QU’UNE POUSSIERE D’ETOILE

« نحن مجرد غبار نجمي »

لتبين هذه العبارة النظرية العلمية القائلة ؛ بأن الذرات التي تكوننا خلقت في النجوم قبل أن تنتشر في أرجاء الكون لتشكل الأرض والحياة .

وكما قال ألبرت أينشتاين :

Un être humain est une partie du tout que nous appelons » Univers «, une partie limitée dans le temps et dans l'espace

Albert Einstein

الإنسان جزء من كل نسميه " الكون " ، وهو جزء محدود في الزمان والمكان .

- في مقولة نسبت للنبي محمد « أن العلماء خلفاء الانبياء » ، **« فإذا اعتبرنا الباحث عالما ، فهو حامل لرسالة إنسانية نبيلة مهما كان مصدرها و منتهاها ، مهما كانت قيمتها و بنياها و مهما كان تاريخها و سكناها و مهما اختلفت ففي حضن الإنسانية لقياها و مرساها »** .

3-2- صفات الباحث و المقاربات الممكن إعتمادها

- صفات الباحث

إن تعقيدات " المغامرة الإنسانية " وتجلياتها الكونية من جدلية وجودية قائمة أساسا على تلازم السببية أو العلية مع الصدفة أو العشوائية و بالتالي الحتمي و اللاحتمي و اليقين من عدمه مع أخذ بعين الآعتبار حدود العقل البشري من إدراك و فهم بعض الظواهر إلى عدم الإدراك والفهم ، فكما قال كانط في كتابه « نقد العقل

المحض » :« أن العقل يطرح أسئلة يعرف مسبقا أنه عاجز عن الإجابة عنها » ، وغير ذلك من الأمور التي تقتضي من الباحث أو المفكر أن يكون متناغما و متأقلما مع هذا التعقيد المتمحور حول الإنسان بأعتباره ذات و منظومة " معقدة أو مركبة " مفروض عليها التفاعل و الوعي بمختلف " الرهانات " المكونة « للشرط الإنساني (في مقولة ل Hannah Arendt) » و إلا كان الباحث خارج **" الانتقاء الطبيعي للمنظومة العلمية "** ، وبناء عليه وجب على العالم المفكر أو الباحث التحلي ببعض الصفات و المواصفات التي تأهله لصنع حقيقة علمية ما **شاملة وعامة ، مع التأكيد** أن هذه الصفات تبقى دائما مفتوحة و منفتحة على تطورها و تطويرها عبر الزمان و المكان في عالم سريع التطور و بالتالي التغيير ، فلا نبتغي الصفات الخارقة بقدر ما نبحث عن الضروري والمهم أو المثالي لعصره .

فعلى الباحث المفكر أن يقوم بخلع عباءة « العبودية » (العبودية لمكبلات الفكر كالمسلمات و غيرها) ، والتخلص أصلا من الأنا (EGO) قبل الدخول إلى المختبر ليرتدي ثوب «الحرية» قبل و أثناء اشتغاله بالبحث ، لذلك وجب عليه كشرط أساسي (خاصتا للمفكر العربي) أن« **يعتنق نظرية قتل الأب الفلسفية** » (أي التخلص من المكبلات الفكرية ؛ التاريخ ، المسلمات ، الخ...) إلى جانب التخلي عن الأفكار المسبقة ، والسيطرة حتى على الأحاسيس و المشاعر التي يمكن أن تعطل التفكير كالخوف مثلا ، فمما لا شك فيه أن الباحث وجب عليه " تقمص دور الجاهل " أي كما قال سقراط : « أعلم أنني لا

أعرف شيئا » فإلى جانب ذلك وجب معرفة أن التفكير هو " علة الوجود " كما أشار لذلك ديكارت في كتابه « مقال في الطريقة » بمقولته الشهيرة أو الكوجيتو الديكارتي « أنا أفكر إذا أنا موجود » والوجود ليس الفكري والجسدي فقط بل وكذلك الروحي وحتى الميتافبزيقي وهو ما يحيلنا إلى معطى مهم وجب أن يتحلى به الباحث ألى وهو ؛ « الإيمان » وهو ما قال فيه لودفيغ فتغنشتاين في كتابه « في الاخلاق و الدين و السحر » : «الإيمان يقيم خارج حدود العقل ، لكن يمكن للعقل أن يدرك أن له حدودا ، وأنه لايتعلق فقط بسؤال" في ماذا تعتقد " وانما بالأساس يتعلق بسؤال " كيف تعتقد " » ، **فالإيمان في الأصل هو التزام ؛ سواء كان بفكرة ، بهدف وحتى بقضية إنسانية** .

المختبر هو ميدان الواقع ميدان الحقيقة " المرة " هو أرض الإنبهار و الدهشة و الذهول ، أرضية الإجابة عن السؤال الذي يفتح أبوابا لأسئلة أخرى ، بوابة المفاجآت ، وكذلك " خاتم سليمان و مصباح علاء الدين لتحقيق الأحلام "، هو " معبد الباحثين " فإما أن يكون في شكل مادي أي بنيان بكامل التجهيزات التقنية و البشرية أو أن يكون كذلك مختبر"معنوي" في شكل تجارب الفكر كما أشرنا لذلك سالفا و الذي يكون مجاله العملي الدماغ البشري عبرآلية العقل ، و في كل الحالات مما يقتضي من الباحث العقل النقدي (الإبستيمولوجيا مثال) في توليد المعرفة لتطور النهضة الفكرية ، وبناء عليه لا يمكن للحرية أن يكون لها صدى ووقع عملي بدون طريقة أو منهج أي مقاربة تجد لها من خلالها مكانا تستمد منه تأثيرها في الفضاء العلمي مع الأخذ بعين الإعتبار

التعقيدات ، فإلى جانب حرية التفكير و إطلاق أجنحة العقل للطيران إلى المعلوم و كذلك المجهول في الفضاء اللامتناهي بدون قيود عبر ملكة الخيال مثلا ، و إن تناقض هذا الأخيرمع العقلانية إلا أنه يكملها ، فعلى الباحث أن يكون إلى جانب تخصصه موسوعيا مطلعا وعابرا لبقية العلوم و المعارف عند تجوله و تنقله بين أسرارها وخباياها وخاصتا مطلعا على آخر الإكتشافات و الإختراعات العلمية في مختلف المجالات و الميادين حيث سيجد إثراءا لتخصصه بطريقة غير مباشرة و"لا واعية" ، أي أن يكون عند اشتغاله "مؤلفا" أي جامعا بين المعارف ، أي مايصح أن يطلق عليه لقب ؛ «**المختص المؤلف Synthesizer Specialist**»، وهذا التوجه يحملنا إلى الحديث عن " معضلة " يعاني منها الفكر العربي اليوم وللأسف وهي معضلة قلة القراءة أو المطالعة التي تعانيها الشعوب العربية ، فيكفي أن تتطلع عن الإحصائيات ليصدمك الواقع المخجل و المرير (و قد مررنا على هذا سالفا) ، فوسائل التواصل الإجتماعي أصبحت تأخذ حيزا زمنيا مهما لدى المواطن العربي وان حاول أحدهم البحث فأول ما يجول بخاطره بطريقة لا إرادية لاواعية " الوجبات الخفيفة " الجاهزة من المعلومات عبر تطبيقات مثل ChatGpt وغيرها ، وهوما يحملنا كذلك للتفكير والقلق على مستقبل الأجيال القادمة أو الناشئة ، ناهيك عن التطورات الدولية المتسارعة وخاصتا في مجال الذكاء الإصطناعي و" الملفت للإنتباه اليوم بل والخطير" أن تتحول أدوات الذكاء الإصطناعي إلى سلاح ذو حدين من وسيلة مساعدة إلى " ذوات فاعلة " بديلة عن و للتفكير في رأي البعض ، و بالتالي من " منقض لمدمر(للفكر البشري)" إلى درجة أن

رسائل البحث في الماجستير أو الدكتوراه مثلا يمكن أن تكون جاهزة في بضع دقائق عوض سنوات من الإرهاق و البحث .

البعد الإنساني الكوني للباحث أو المفكرمهم جدا ، فما يقع اكتشافه أو اختراعه أو حتى ابتكاره يجب أن لا يأخذ في ذهن العالم " بعدا محدودا " في المكان و الزمان وإن وجد ، فمجهوده أو نتاج "العصر الذهني" وإن كان فردي فقد يصبح ملك المجموعة وإن كان محلي فسيمتد إلى العالمي أو الكوني وان كان ابن عصره سيمتد لعصور لما فيه خير البشرية جمعاء ، « **فمن البديهي أن يكون الباحث ؛ كونيا مستقبليا** » .

أشرنا سالفا إلى دور الفلسفة في البحث العلمي و بالتالي فمن البديهي أن يكون الباحث مطلعا و ملما بالفلسفة كأداة ووسيلة للغوص في أعماق المحيطات ، إلى جانب الفلسفة وجب الإشارة إلى معطى مهم إما يتجاهله أو يجهله البعض وهو العمل على الجانب اللامادي للأشياء أو الظواهر أو غيرها ، **وكما قال نيكولا تسلا : « عندما يبدأ العلم بدراسة الظواهر غير المادية ، سيحرز تقدما أكبر خلال عقد من الزمن مقارنة بالقرون السابقة »**

ة

- في كتابه « نظام التفاهة » تطرق د.آلان دونو إلى مفهوم « الأكاديمي » في علاقة بالأحوال المؤسفة للجامعات ، حيث يتحول الأستاذ الجامعي من منتج للمعرفة إلى تاجر فيها أو كما سماها ماكس فيبر؛ « مهنة الإنسان الأكاديمي the academic man's vocation ».

ـ المقاربات الممكن إعتمادها

في الحديث عن المقاربات أو النظريات الممكن آعتمادها ، هي الآليات الموجودة التي تضاف كتملة و كترجمة تطبيقة لما تطرقنا له سالفا و التي بدورها تبسط و تساعد و يمكن أن تكون كقواعد إرتكاز في المرور لما سميناها ؛ « بالطريقة الام أو منهج التفكير العلمي » .

باختصار ؛ على المفكر التخلص من التفكير" الميكانيكي " وعليه بإعتماد التفكير " المرن " أي القابل للتأقلم أو التكيف و بالتالي «التطور» ، ويمكن الإستئناس ببعض المقاربات أو المناهج أو الطرق التي تحيلنا إلى هذا التمشي ، مثلا ؛ **التفكير المعقد « The Complex Thinking » لإدغار موران ، و بالمجهر الكلي أو الشمولي «The Macroscope» ل Joël de Rosnay**، وإن اختلفت تسميات هؤلاء لمقارباتهم واستعمالاتها إلا أنها تدورحول"مجرة " ؛ **المقاربة المنظوماتية (The Systemic Approach) والتي هي في حد ذاتها تعتمد كإحدى مناهج البحث العلمي** ، « فالمنظومة أو النظام هو كل مكون من وحدات متعاضدة تعاضدا تكون بمقتضاه كل وحدة مشدودة إلى وحدات أخرى و لايجوز أن تكون بمعزل في علاقتها بهذه الوحدات » ،وهذه المقاربة تساعد على تخليص الفكر البشري مما سماه أدغار موران " بالعماء البراديڤمي في المعرفة " لأنها تعتمد عل التصور العام وتأخذ بعين الإعتبار التعقيد أو التركيب و الترابط و التفاعلات بين العناصر ، والإتصال و التكامل بين المكونات و كمثال ؛ تراتبط و تكامل العلوم و المعارف فيما بينها (Multi-

and transdisciplinary)،عكسها في ذلك **المقاربة التحليلية (Analytical Approach)** التي تركز على العناصر منفردة ، فهي تعزل و تفصل بين المعارف ، تعتمد فقط على دقة التفاصيل (و لو أنه كذلك يعتبر إحدى مناهج البحث العلمي ، أي المنهج التحليلي) غير أن هذا التمشي يختلف عنه التحليل في « **تفكيكية Deconstructionism** » **الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا** التي تعتمد كذلك على التحليل لكن ليس بنفس طريقة التركيب أو البناء، و كما قال بلغته الفرنسية :

Déconstruction ne signifie pas destruction ; il s'agit d'une décomposition, d'une analyse et d'une fragmentation, de reconstitutions, de sédiments au sens positif, pas négatif, pour faire une affirmation OUI originaire et irréductible.

Jacques Derrida

لا يعني التفكيك الهدم ؛ بل هو عملية تحليل وتجزئة وإعادةِ تركيب وتراكم للرواسب بالمعنى الإيجابي لا السلبي ، وذلك من أجل صياغة تأكيد ل" نعم " أصيل وغير قابل للاختزال.

جاك دريدا

في ما سبق ذكره في هذه الكتاب تطرقنا إلى الحديث و مررنا عن ثلاث مبادىء أساسية ألى و هي : **المعرفة** ، **الحرية** و **المنظومة** وهي جزء من **سبعة مبادئ أساسية** تقوم عليها مقاربتنا الكونية ؛

« **الحوكمة النبيلة** » إلى جانب أربع مبادىءأخرى وهي : «**الكونية**» ثم «**المسار**» و «**التغيير**» وكذلك «**البعد**» **(أنظر الرسم أدناه)** ، وهي مقاربة يمكن ٱعتمادها مثل المقاربات سالفة الذكر، **فهي منهج من مناهج التفكير.**

فالحوكمة النبيلة هي الطريقة ، منهج التفكير الكوني وكذلك العلمي وهي مقاربة تقوم على سبعة مبادئ أساسية (سبق ذكرها) مجتمعة و متشابكة أو معقدة و مركبة ، و قد سميت بالحوكمة النبيلة لأنها **ترتقي و تسموا بالفكر البشري إلى درجة النبل** وهي متعددة الاستعمالات .

من خلال هذه المقاربة دعوة لكل عالم إلى " حوكمة " مساره البحثي أو اجتهاده الفكري بما يتطابق ومقتضيات العصر، هي عبارة عن موجة من بحر ، كما اجتهدنا نحن سيجتهد غيرنا مادام في هذه الأرض ما يستحق الحياة ، فعلى الباحثين التخلص و التحرر من التبعية للأقدمين أي للمناهج والاساليب التقليدية المتبعة وأن يلتمس له منها ما ينفعه و " ينسج " له منهجا خاصا به يقيه من الإحساس بالدونية ، **وكما قال جون غريبين في كتابه « تاريخ العلم » : « ثمة مفتاحان للتقدم العلمي هما البراعة الشخصية في الأداء والبناء المتدرج تأسيسا على ما سبق » .**

ملاحظة: للتعرف أكثر على نظريتنا و مقاربتنا « الحوكمة النبيلة» أنظر الرابط في الإحالات .

Noble Governance

Our common destiny

رمز أو شعار الحوكمة النبيلة

3- فصل المقال

هذا وقد أشرنا في ديباجتنا إلى بعض الأعلام و المراجع في التفكير العلمي و منهم أستاذنا « فؤاد زكريا » وعن كتابه ؛ « التفكير العلمي » ، فقد كان هذا الكتاب رائعا لما آحتواه من معلومات و تحاليل ، ولكن رأيت فيه أنه لم يعد يستجيب اليوم لمتطلبات العصر، لما حدث و يحدث مع آخر الإكتشافات و التطورات العلمية ، من ذلك أنه تحدث عن العقل و المنطق في العلوم وهذا صحيح ولكن ذلك مع « الفيزياء التقليدية مثلا » أما و اليوم مع فيزياء و مكنيكا الكم فلا يمكن إدراك هذه العلوم بالعقل و المنطق فقط بل وكذلك بمنطق اللامنطق وحتى اللا معقول ، لكن يمكن تصورها بالخيال مثلا ، وقد أشار إلى ذلك علماء و مؤسسي فيزياء الكم مثل « شرودنقر» وحتى من تحصل على جائزة نوبل في الفيزياء مؤخرا الفرنسي Alain Aspect عندما برهن على ما يسمى « بالتشابك الكميQuantum Entanglement » وغير ذلك من الإكتشافات و حتى الإختراعات .

و بما أننا في حضرة الاستراتيجية فمن البديهي السؤال و معرفة أهداف العلم و من وراءه التفكير العلمي . فالعلم وإن حصر في معناه الضيق في شكل تخصصات إلا أنه يأخذ في مجمله شكل المنظومة التي وجب عليها الإنغلاق لضمان الإنفتاح << Semi Open System>> لذلك فإن التفكير العلمي و نتاجه البحث العلمي وإن سعى للرقي و تطوير علم ما في مجال أو إختصاص معين إلا أنه بطريقة غير مباشرة سعي لإثراء بقية العلوم و

المعارف لأن هذه الأخيرة بطبيعتها " متناسلة ، متكافلة ومتكاملة" للوصول لحقيقة ما و لما فيه خير البشرية جمعاء ، بغض النظر عن النوايا السيئة من استعمال العلم و إن كانت هذه الأخيرة تحيلنا إلى « **الحاجة الى الأخلاق** » كقيمة بشرية وعلمية كما أشار « كانط في نظرية الأخلاق لديه » أن ؛ « الأخلاق تستمد قوتها من العقل وليس المشاعروالرغبات ، من خلال [ما سماه] الواجب القطعي Categorical Imperative » ، وحتى ميكيافيلي « الذي كان يحذر من السذاجة أوممارسة الفضيلة دون وعي بالواقع » مما وضع كذلك عديد الأطراف في مواجهة تساؤلات أخلاقية في الأوساط العلمية و حتى في الدينية منها ، ليكثر الجدل حول ؛ « طبيعة أو ماهية الإنسان » من جانب أخلاقي صرف ، لتبرز هنا الضرورة أو الحاجة إلى " **التثاقف** "(تبادل الثقافات) بين الشعوب و بالتالي الدول لآستدامة النوع البشري و الرقي بأنسانية الإنسان .

تبعا لما تم ذكره في هذه المقالة ، لا يمكن للمشتغل في التفكير و البحث العلمي إلا أن **يفكر كونيا** ، و لذلك ارتأينا من جانبنا كعالم إلى هندسة أو بلورة نظرية و مقاربة علمية كونية سميناها ب ؛

« الحوكمة النبيلة » **فالبشرية مهما اختلفت فإن مصيرها مشترك .**

الإحالات و المراجع

- الإحالات : روابط الأنترنات

نظرية و مقاربة: الحوكمة النبيلة

Noble Governance

(التسجيل و النشر)

مسجلة في بنك النظريات أوالمناهج عبر الرابط :

https://www.universalforesight.com/uf-methods-bank/11391

منشورة باللغة العربية في مجلة علمية دولية محكمة عبر الرابط :

مجلة رؤى سياسية/afakcenter.com

(العدد الثالث ، من الصفحة87 إلى 116)

رابط التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي :

https://unesdoc.unesco.org/ark:/482pf0000380455_ara/23

رابط كتاب « أخلاق الطبيعة »

https://foulabook.com/ar/book/كتاب-أخلاق-الطبيعة-سمفونية-الحياة-pdf?fbclid

- الكتب أو المراجع

د.محمد بشير الجويني : أخلاق الطبيعة « سمفونية الحياة »

جون غريبين : تاريخ العلم

ماكس فيبر Max Weber : العلم بوصفه حرفة Science as a Vocation

ألبرت أينشتاين : العالم كما أراه ALBERT EINSTEIN, comment je vois le monde

رينيه ديكارت : مقال في المنهج ، تأملات ميتافيزيقية ، قواعد لتوجيه الفكر

عمانويل كانط: نقد العقل المحض ، نقد العقل العملي

ادغار موران : أجزاء موسوعة «المنهجLa Méthode» التي تتألف من 6 أجزاء ، دروس قرن من الزمن ، Ou va le monde

فؤاد زكريا عبر كتابه « التفكير العلمي»

طه حسين : قادة الفكر، مستقبل الثقافة في مصر

البير كامو : أسطورة سيزيف

محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي ، بنية العقل العربي ، العقل السياسي العربي ، العقل الأخلاقي العربي

مالك بن نبي : شروط النهضة

آلان دونو: نظام التفاهة

آل غور : المستقبل ، ستة محركات للتغيير العالمي

Étienne Klein : Le Goût Du Vrai

ميشيو كاكاو : مستقبل العقل

لودفيغ فتغنشتاين : في الاخلاق و الدين و السحر

إرفين شرودنجر: العقل و المادة

جون غريبين : تاريخ العلم

أحمد عبد الحليم عطية : جاك دريدا والتفكيك

Joël de Rosnay : Le Macroscope

Vers une vision globale

»يوفال نوح هراري : « الإنسان الإله ، تاريخ وجيز للمستقبل
«العاقل ، تاريخ مختصر للنوع البشري»

غاستون بيرجي GASTON BERGER
«phénoménologie du temps et prospective»

«ظاهراتية الزمن و المستقبل [الإستشراف] »

هيجل : « المنطق وفلسفة الطبيعة »

فريدريك انجلز: « ديالكتيك الطبيعة »

فتحي المسكيني : الإيمان الحر، أو ما بعد الملة

Noble Governance

Our common destiny

المؤلف في سطور

د.محمد بشير الجويني

تونسي الجنسية ،اقتصادي التكوين الأكاديمي،متعدد المدارس و الإختصاصات العلمية (تنمية،سياسات عمومية،حوكمة،استراتيجيا و استشراف ,بناء السلام...)،مدرب وخبير دولي،كاتب وباحث،سفير السلام و صاحب نظرية الحوكمة النبيلة.

البريد الألكتروني الخاص

jouinimohamedbechir@hotmail.com